سلسلة قضايا طبيّة فقهيّة
تبحث عن حلول

- ٢ -

مُداواة الرجُل للمرأة
ومُداواة الكافر للمُسْلم

تأليف
الدكتور
محمّد علي البار

زميل وعضو الكليات الملكية للأطباء بالمملكة المتحدة
مستشار قسم الطب الإسلامي مركز
الملك فهد للبحوث الطبية جامعة
الملك عبد العزيز
بجدّة

دار المنارة للنشر والتوزيع

مُداوَاةُ الرَّجُلِ لِلمَرأةِ
وَمُداوَاةُ الكافِرِ لِلمُسْلِمِ

بسم الله الرحمن الرحيم

بحث مقدَّم لمجمع الفقه الإسلامي بصورة مختصرة
في دورته الثامنة المنعقدة في بروناي دار السلام
١ ـ ٧ محرم ١٤١٤هـ ـ الموافق ٢١ ـ ٢٧ يونيه ١٩٩٣م

الطبعة الأولى

١٤١٦هـ - ١٩٩٥م

ⓗ دار المنارة للنشر والتوزيع، ١٤١٥ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية

البار، محمد بن علي

مداواة الرجل للمرأة ومداواة الكافر للمسلم.

... ص؛ .. سم (سلسلة قضايا طبية فقهية تبحث عن حلول)

ردمك ٧ - ٠٠ - ٨٢٠ - ٩٩٦٠

١ - الإسلام والطب ٢ - الطب (مهنة) ٣ - الأخلاق الإسلامية

أ - العنوان ب - السلسلة

ديوي ٢١٤,٦١ ١٥/٣٦٦١

رقم الإيداع: ١٥/٣٦٦١

ردمك: ٧ - ٠٠ - ٨٢٠ - ٩٩٦٠

دار المنارة للنشر والتوزيع

هاتف: ٦٦٠٣٦٥٢ - فاكس: ٦٦٠٣٢٣٨ - المستودع: ٦٦٧٥٨٦٤

جدة ٢١٤٣١ ص.ب: ١٢٥٠ - المملكة العربية السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على الهادي الأمين وآله وصحبه ومن اتقى إلى يوم الدين.

أما بعد: فهذه مباحث أثيرت في مجمع الفقه الإسلامي في دورته الثامنة المنعقدة بدار السلام بروناي في الفترة ما بين ١ ـ ٧ محرم ١٤١٤هـ الموافق ٢١ ـ ٢٧ يونيه (حزيران) ١٩٩٣م. وهي مباحث تهم الأطباء والعاملين في الحقل الصحي بصورة خاصة، كما تهم الأمة بصورة عامة بسبب عموم البلوى. ولا بد فيها من دراسة هذه المشاكل وتوضيح أبعادها وكيفية حلها ومعرفة الحكم الشرعي فيها.

وهذه السلسلة ستناقش مجموعة من المواضيع التي أثيرت في هذه الدورة وفي دورات سابقة وندوات أخرى مثل التي نظمتها المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية بالكويت بالتعاون مع مجمع الفقه الإسلامي ومنظمة الصحة العالمية حول المشاكل المتعلقة بالإيدز وذلك في ٢٣ ـ ٢٥ جمادى الآخرة ١٤١٤هـ/ ٦ ـ ٨ ديسمبر ١٩٩٣.

وفي الكتاب الأول من هذه السلسلة درسنا موضوع أحكام التداوي. وفي هذا المبحث اخترت مبحث مداواة الرجل للمرأة والمرأة للرجل ومداواة الكافر للمسلم وما هو الموقف الشرعي في هاتين القضيتين، كما استعرضت في كل واحد منهما واقع الحال والواقع التاريخي للأمة الإسلامية وخاصة مداواة الكافر للمسلم وكيف كان المجتمع الإسلامي متسامحاً لدرجة تفوق التصور حتى أننا نجد معظم أطباء الخلفاء والملوك على مدى القرون المتطاولة هم من النصارى والسريان واليهود والنبط والصابئة بالإضافة إلى أفراد من الهندوس.

وستتلو هذا الكتاب مجموعة تناقش موضوع الإيدز ومشاكله الاجتماعية والفقهية والقانونية وموضوع ضمان الطبيب وغيرها من المواضيع الشائكة التي بذل الأطباء والفقهاء في دراستها جهوداً مضنية، فجزاهم الله عن الأمة خير الجزاء.

وبما أنني قد قدمت أبحاثاً في هذه المجامع الفقهية فإنني قمت بإعادة صياغة هذه الأبحاث على ضوء المناقشات والقرارات التي صدرت حتى تكون متكاملة ومرجعية. والله ولي التوفيق. لا إله غيره ولا رب سواه.

١٣ رمضان ١٤١٤هـ/ ١٣ فبراير ١٩٩٤

مداواة الرجل للمرأة والمرأة للرجل

❏ مداواة المرأة للرجل:

وردت عدة أحاديث صحيحة في مداواة المرأة للرجل الأجنبـي عنها. فقد جاء:

١ ــ في صحيح البخاري عن الربيع بنت معوذ رضي الله عنها، قالت: «كنا مع النبـي ﷺ نسقي، ونداوي الجرحى ونردُّ القتلى إلى المدينة».

٢ ــ وأخـرج مسلـم فـي صحيحـه وأحمـد فـي مسنـده وابن ماجه في سننه أن أم عطية رضي الله عنها قالت: «غزوت مع رسول الله ﷺ سبع غزوات، أخلفهم في رحالهم وأصنع لهم الطعام وأجيز على الجرحى وأداوي المرضى».

٣ ــ وأخرج مسلم أيضاً عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: «إن رسول الله ﷺ كان يغزو ومعه أم سليم (هي أيضاً أم أنس بـن مالك)، ومعها نسوة مـن الأنصار يسقين المـاء ويداوين الجرحى».

٤ ـ وأخرج مسلم في صحيحه أن نجدة الخارجي كتب إلى ابن عباس رضي الله عنهما، يسأل عن غزو النساء مع النبي فكتب إليه أنه كان يغزو بهنَّ فيداوين الجرحى، ويُحذين من الغنيمة، وأما بسهم فلم يُضرب لهن.

٥ ـ وأخرج الحاكم في المستدرك، وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرّجاه، عن أبي بكر بن سليمان بن أبي حثمة أن رجلاً من الأنصار خرجت به نملة، فدُلَّ أن الشفّاء بنت عبد الله ترقي من النملة[1]، فجاءها فسألها أن ترقيه فقالت: والله ما رقيت منذ أسلمت، فذهب الأنصاري إلى رسول الله ﷺ فأخبره بالذي قالت الشفّاء، فدعاها رسول الله ﷺ فقال لها، فعرضتها عليه فقال: «ارقيه وعلميها حفصة كما علمتها الكتابة».

٦ ـ وعندما أصيب سعد بن معاذ رضي الله عنه بسهم غرب ـ في موقعة الأحزاب ـ في أكحله[2]، جعل له الرسول خيمة في المسجد وأوكل تمريضه إلى رفيدة الأسلمية. ثم جعل معه بعض الجرحى وأوكل تمريضهم جميعاً إليها[3].

---

(١) النملة قروح تظهر في الجنب أو غيره وتدب دبيب النمل في الجلد. وهي تقع على وصف مرض الهربس زوستر (القوباء المنطقية).

(٢) الأكحل: عرق في اليد يفصد ويحجم. والحديث أخرج البخاري طرفاً منه من حديث أبي سعيد الخدري وأخرجه مسلم من حديث جابر رضي الله عنهم أجمعين.

(٣) المرجع السابق نفسه.

وذكر الإمام الذهبي في كتابه الطب النبوي[1]: «ونصَّ أحمد أن الطبيب يجوز له أن ينظر المرأة الأجنبية إلى ما تدعو إليه الحاجة إلى العورة، نصَّ عليه في رواية المروزي والأشرم وإسماعيل، وكذلك يجوز للمرأة أن تنظر إلى عورة الرجل عند الحاجة ـ قال المروزي: «أصاب أبا عبد الله (أي الإمام أحمد) لوي فدعا بامرأة فأخرجته». ثم قال الذهبي: «وكذلك يجوز خدمته الأجنبية، ويشاهد منها عورة في حال المرض، وكذلك المرأة يجوز لها أن تخدم الرجل وتشاهد منه عورة في حال المرض إذا لم يوجد رجل أو محرم».

❏ مداواة الرجل للمرأة:

ومما استدل به على جواز مداواة الرجل للمرأة الأجنبية ما يلي:

١ ـ روى عن جابر أن أم سلمة رضي الله عنها استأذنت رسول الله ﷺ في الحجامة فأذن لها، فأمر أبا طيبة أن يحجمها[2].

---

(١) الطب النبوي للذهبي ص ١١٢.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، وابن حبان في صحيحه أيضاً، وابن حزم في المحلى. صحيح مسلم ج ٤/ ١٧٣، وصحيح ابن حبان ج ٧/ ٤٤٧، والمحلى لابن حزم ج ١٠/ ١٣٣.

٢ ـ لا خلاف بين الفقهاء على جواز مداواة الرجل للمرأة، ونظر ومس ما تدعو الحاجة إلى نظره أو مسه، وإن كان عورتها المغلظة إذا اقتضت الضرورة أو الحاجة. ومن هذه الشروط عدم وجود امرأة يمكنها القيام بمداواتها. وقال بعض الحنفية: ينبغي أن يعلّم الطبيب امرأة كيفية مداواة المريضة، وخصّ بعضهم ذلك بالعورة المغلظة، فإذا كان المرض في فرجها وخيف عليها الهلاك أو الإصابة بألم لا تطيقه، ولم توجد امرأة يمكن تعليمها كيفية المداواة فللرجل أن يداويها.

وتقدم الطبيبة الكافرة على الطبيب المسلم عند الشافعي، بحيث تداويها المرأة وإن كانت كافرة إلا إذا كان الرجل محرماً لها فيقدم على الكافرة. ويقدم الأمهر من الأطباء ولو كان رجلاً على المرأة.. ولو وجدت امرأة طبيبة لا ترضى إلا بأكثر من أجرة مثلها، ورضي الطبيب الرجل بأقل منها جاز للرجل مداواتها. بل لو وجد كافر يرضى بأجرة أقل من أجرة الطبيب المسلم جاز التداوي عنده. ويجوز التداوي عند الأمهر من الأطباء ولو كان كافراً مع وجود مسلم أقل خبرة ومهارة منه(١).

ولا بد أن يكون مع الطبيب عند فحصه للمرأة مانع خلوة

---

(١) الهداية والعناية ج ٩٩/٨، رد المحتار ج ٢٣٧/٥، نهاية المحتاج ج ١٩٧/٦، مغني المحتاج ج ١٣٣/٣ نقلاً عن الدكتور عبد الفتاح إدريس في بحثه أخلاقيات الطبيب ص ١١.

كوجود محرم من محارمها أو نساء أخريات، بل ذهب بعض الحنفية إلى أن الخلوة المحرمة بينهما تنتفي بوجود رجل آخر أجنبي عن المرأة. والراجح عند الشافعية أن الخلوة تنتفي بوجود امرأة ثقة أخرى. وذهب آخرون من الحنفية إلى عدم انتفاء الخلوة بوجود رجل أجنبي آخر وكذلك القول المشهور عند الشافعية إذ يحرم خلوة رجل أو أكثر بالمرأة الأجنبية عنهم. وقال القفال الشاشي: يحرم خلوة رجل بامرأتين أو أكثر إلا إذا كانت إحداهن من محارمه فيجوز وتنتفي الخلوة، وكذلك يحرم خلوة امرأة برجلين أو أكثر إلا إذا كان أحدهما من محارمها. وعند الحنابلة أن الخلوة لا تنتفي بوجود امرأة أو أكثر مع الطبيب والمريضة، كما لا تنتفي بوجود رجل أو أكثر أجنبي عن المرأة معها. ولا بد لانتفاء الخلوة لوجود رجل من محارمها.

وذهب بعض الحنفية والمالكية إلى جواز خلوة الشيخ الهرم بالمرأة الشابة وخلوة المرأة العجوز غير المشتهاة بالرجل الأجنبي[1].

---

(١) المصدر السابق كما ينلقه عن النووي في المجموع ج ٤/ ٢٧٧ ــ ٢٧٨، نهاية المحتاج ٦/ ١٨٨ المغني لابن قدامة ج ٣/ ٢٣٩، الدر المختار ورد المحتار ج ٥/ ٢٣٥، ٢٣٦، كشاف القناع ٥/ ١٣، ١٦ وشرح النووي لصحيح مسلم ج ٥/ ١٦ ــ ١٨، ونيل الأوطار للشوكاني ج ٦/ ٢٤١ وسبل السلام للصنعاني ج ١/ ٧.

وتحريم الخلوة ثابت في الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يخلوّن رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم». وحديث عامر بن ربيعة أن رسول الله ﷺ قال: «لا يخلون رجل بامرأة لا تحل له فإن ثالثهما الشيطان إلا محرم»(١).

ويسمح للطبيب أن ينظر أو يمسّ موضع المرض. هكذا قال الفقهاء. وفي الطب الحديث يحتاج الطبيب لمعرفة العلة وسببها أن يفحص أماكن أخرى عديدة قد لا تبدو (للعامة وهم هنا غير الأطباء) أي علاقة ظاهرة لها بموضع الألم.. ومثاله امرأة تشكو من وجع في بطنها، وقد يكون المرض متعلقاً بالقلب. أو تشكو من صداع ويكون المرض متعلقاً بضغط الدم وحينئذ لا بد من فحص القلب وغيره من الأعضاء وفحص قاع العين، أو تشكو من كثرة البول الناتجة عن البول السكري وذلك يستدعي فحص العديد من أعضاء جسمها، وهكذا. ولهذا فإن اشتراط موضع الألم فقط أمر لا معنى له لأن موضع الألم قد يكون بعيداً عن سبب العلة. ولا بد للطبيب أن يفحص ما يحتاج إلى فحصه من جسم المريض لمعرفة المرض ومضاعفاته، وللوصول إلى التشخيص السليم، وبالتالي إعطاء الدواء الصحيح.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ج ٣/ ٤٤٦ والهيتمي في مجمع الزوائد وقال: رواه أبو يعلى والبزار والطبراني وفيه عاصم بن عبيد الله وهو ضعيف.

❑ طبيبات في الإسلام:

لقد اشتهرت في الإسلام مجموعة من النساء بالطب وبالتمريض وعُرفن باسم الآسيات وكانت القبالة مهنة مختصة بالنساء ومن هؤلاء القابلات من الصحابيات الشفّاء بنت عبد الله رضي الله عنها. وفيما يلي ذكر موجز لبعض من قام بالتطبيب والقبالة والتمريض من النساء.

١ ـ فاطمة بنت محمد ﷺ وسيدة نساء العالمين حينما قامت بحرق قطعة من حصير عندما رأت الدم لا يستمسك من رسول الله ﷺ عندما أصابته الجراح في أحد فألزقت الحصير المحروق بموضع النزف فاستمسك الدم. وهو حديث صحيح رواه البخاري(١) ومسلم وابن ماجه. والحصير الذي أحرقته السيدة فاطمة من البردي. قال ابن سينا في القانون: «البردي ينفع من النزف ويمنعه، ويُذرّ على الجراحات الطرية فيدملها. والقرطاس المصري كان قديماً يعمل منه... ويحبس نفث الدم ويمنع القروح الخبيثة أن تسعى».

٢ ـ عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما: حيث روي أن عروة بن الزبير قال لخالته عائشة (لأنها أخت أمه أسماء بنت أبي بكر): يا أمتاه لا أعجب من فقهك أقول: زوجة رسول الله ﷺ، ولا أعجب من علمك بالشعر وأيام الناس، أقول

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري كتاب المغازي ج ٧/ ٣٧٢.

ابنة أبـي بكر، ولكني أعجب من علمك بالطب، قالت: «إن رسول الله ﷺ كان يسقم عند آخر عمره فكانت تقدم عليه وفود العرب من كل وجه فتنعتُ له الأنعات، فكنت أعالجه، فمن ثَمّ»[1].

٣ ـ حفصة بنت عمر رضي الله عنهما: أمر رسول الله ﷺ الشفاء بنت عبد الله أن تعلم حفصة رقية النملة (القوباء المنطقية = هربس زوستر) فقد روى أبو داود عن الشفّاء، قالت: دخل علي رسول الله ﷺ وأنا عند حفصة فقال: «ألا تعلمين حفصة رقية النملة كما علمتها الكتابة»[2]. وفي رقية النملة دعاء وطلاء للقروح بطلاء متخذ من الكركم والخل.

٤ ـ أسماء بنت أبـي بكر: وفي الصحيحين أن أسماء كانت إذا أُتيت بالمرأة قد حُمّت تدعو لها، أخذت الماء فصبّت بينها وبين جيبها وقالت: كان رسول الله ﷺ يأمرنا أن نبردها بالماء[3].

٥ ـ رفيدة الأسلمية: أخرج البخاري ومسلم[4] أن

---

(١) التراتيب الإدارية ج ١/ ٤٥٥.

(٢) سنن أبـي داود، كتاب الطب، ما جاء في الرقى وأخرجه الحاكم في المستدرك عن أبـي بكر بن سليمان ج ٤/ ٥٦، ٥٧.

(٣) جامع الأصول ج ٧/ ٥٢٨.

(٤) عون الباري ج ٥/ ٢٥٥، ٢٥٦، وصحيح مسلم ج ٤/ ١٧٣١.

رسول الله ﷺ جعل خيمة في المسجد لمداواة الجرحى في غزوة الخندق ومنهم سعد بن معاذ، وجعل الإشراف على تمريضهم لرفيدة الأسلمية.

٦ ــ الشفّاء بنت عبد الله بن عبد شمس القرشية: كانت تقوم بالقبالة وترقي رقية النملة وقد تقدم رقيتها للأنصاري وتعليمها لأم المؤمنين حفصة رقية النملة بأمر النبي ﷺ:

٧ ــ الربيع بنت معوذ: تقدم حديثها في البخاري حيث قالت: «كنا مع النبي ﷺ نسقي ونداوي الجرحى، ونرد القتلى إلى المدينة».

٨ ــ أم عطية: تقدم قولها: «غزوت مع رسول الله ﷺ سبع غزوات أخلفهم في رحالهم وأصنع لهم الطعام وأدواي الجرحى وأقوم على المرضى»[(١)] وأم عطية هي نسيبة بنت كعب بن عمرو بن عوف وتكنى أم عمارة وكانت تختن البنات.

٩ ــ أم سليم: (وهي أم أنس بن مالك وزوج أبي طلحة الأنصاري): وقد تقدم حديث أنس حيث قال: «كان رسول الله ﷺ يغزو بأم سليم ونسوة من الأنصار يسقين الماء ويداوين الجرحى»[(٢)].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ج ٥/١٩٩.

(٢) صحيح مسلم ج ٥/١٩٦.

وهكذا نرى أمهات المؤمنين والصحابيات الجليلات يداوين الجرحى ويسقينهم في ميادين القتال وقد أخرج البخاري عن أنس رضي الله عنه: «لقد رأيت عائشة بنت أبـي بكر وأم سليم وأنهما لمشمرتان أرى خدم سوقهما تنقلان القرب على متونهما، ثم تفرغانه في أفواه القوم ثم ترجعان».

وروى عمر بن الخطاب قول النبـي ﷺ: «ما التفت يميناً ولا شمالاً يوم أحد إلا رأيت أم سليط تقاتل دوني».. وفي ذلك اليوم العصيب تقاعس عدد غير قليل من الصحابة عن القتال بعد وقع الهزيمة وسماعهم أن النبـي ﷺ قد قتل ففتَّ ذلك في عضدهم.

وروى البخاري أن عمر بن الخطاب قسَّم مروطا بين نساء المدينة فبقي مرط جيّد، فقال له بعض من عنده: يا أمير المؤمنين اعطِ هذا ابنة رسول الله ﷺ التي عندك (يريد أم كلثوم بنت علي وفاطمة الزهراء)، فقال عمر: «أم سليط أحقُّ فإنها كانت تزفر لنا القرب يوم أحد». وتزفر أي تحمل الحمل الثقيل.. وهكذا كانت أم سليط تداوي الجرحى وتسقي العطشى وتقاتل دون النبـي ﷺ عند اشتداد البأس.

وأم سليط هي أم قيس بنت عبد من بني مازن تزوجها أبو سليط بن أبـي حارثة من بني النجار من الأنصار فولدت له سليطا وفاطمة. وكانت من أوائل من بايع النبـي ﷺ بالمدينة. وشهدت أحداً وخيبر وحنيناً.

ولم تكتف أم عمارة الأنصارية بإسعاف الجرحى وسقاية العطشى بل حملت السيف وقاتلت. وقتلت أم حكيم يوم اليرموك سبعة من الروم بعمود الفسطاط لمّا هجم الروم على مواقع المسلمين الخلفية.

واشتهر بالطب من غير الصحابيات عدد من النساء منهن:

١ ـ **زينب طبيبة بني أود:** واشتهرت بطب العيون (الكحالة) حتى تمثل بها الشاعر[1] حيث قال:

أمخترمي ريب المنون ولم أزر
طبيب بني أود على النأي زينبا

٢ ـ **أخت أبي بكر بن زهر الحفيد وبنتها:** وقد اشتهرتا بالطب في الأندلس.. وهي عائلة طبيّة تخرج منها العديد من الأطباء. وقد كان المنصور لا يسمح لأحد بمعالجة نسائه وأهله إلا أخت الحفيد أو ابنتها.

---

(١) ذكر ابن أبي أصيبعة أن رجلاً أتى امرأة من بني أود لتكحله من رمد أصابه فكحلته، ثم قالت: اضطجع قليلاً حتى يدور الدواء في عينيك، فاضطجع وتمثل قول الشاعر:

أمخترمي ريب المنون ولم أزر
طبيب بني أود على النأي زينبا

فضحكت وقالت: أتدري فيمن قيل هذا الشعر؟ قال: لا، قالت: فيّ والله قيل، وأنا زينب التي عناها، وأنا طبيبة بني أود. أفتدري من الشاعر؟ قال: لا، قالت: عمك أبو سماك الأسدي.

٣ ــ ابنة شهاب الدين بن الصائغ: كان أبوها رئيس البيمارستان المنصوري بالقاهرة. ودرست الطب على يد والدها وعلى الأطباء المشهورين على عهده. واشتغلت بالطب، وتولت رئاسة البيمارستان المنصوري بعد وفاة والدها. وكانت تعتبر في المكانة السامقة في الطب في عهدها، وتولت مشيخة الأطباء!![١].

٤ ــ أم الحسن بنت القاضي أبي جعفر الطنجالي: من أهل برشلونة. كانت واسعة الاطلاع كثيرة المعارف، ولكنها اشتهرت بالطب[٢].

٥ ــ بنت دهن اللوز الدمشقية: عُرفت بالطب ومارسته، رغم أن بعض المؤرخين تشكك في ذلك[٣].

❑ ما هو الواقع اليوم؟

إن المستشفيات اليوم تعاني من اختلاط شديد بين الرجال والنساء. ولا يكاد يوجد في أقسام المرضى من الرجال ممرّضين من الرجال إلا نادراً جداً. والأمر قائم كله على تمريض النساء للرجال.

---

(١) تاريخ البيمارستانات في الإسلام للدكتور أحمد عيسى ص ١٣٩.
(٢) تاريخ التربية الإسلامية للدكتور أحمد شلبي ص ٢٨٥.
(٣) د. محمود الحاج قاسم: الطب عند العرب والمسلمين ص ٨٩.

وقد ذكر فضيلة الشيخ علي الطنطاوي أمدَّ الله في عمره، في أحد أحاديثه التي يجمع فيها بين العلم والمتعة والأدب، أن شخصاً كتب إليه يشكو أن ممرضة في أحد المستشفيات الخاصة قد قامت بحلق شعر عانته للتحضير لعملية كان سيجريها في ذلك المستشفى، وأنه لا توجد في أقسام الرجال من ذلك المستشفى سوى الممرضات. وهو أمر يحدث في كل المستشفيات تقريباً، مع عدم الحاجة إلى أن تقوم ممرضة بمثل هذا العمل للمريض، إذ يستطيع ذلك المريض نفسه في أغلب الحالات. كما يمكن إيجاد ممرضين من الرجال في أقسام الرجال.

والعكس يحدث في أقسام النساء حيث نجد أن معظم الأطباء في أقسام أمراض النساء هم من الذكور، ونادراً ما توجد طبيبة في أقسام النساء. وبالتالي تنكشف العورات المغلظة للنساء المسلمات العفيفات للرجال.

وسنحاول هاهنا أن نورد الحجج التي يقدمها من يدافعون عما يجري حالياً في المستشفيات في البلاد الإسلامية وموقفهم يتلخص فيما يلي:

١ ــ عدم وجود عدد كاف من الممرضين الذكور.

٢ ــ أثبتت المرأة قدرتها في مجال التمريض، ولعل التمريض أليق بوظيفتها الأنثوية.

٣ ــ الآسيات في التاريخ الإسلامي شهادة ناصعة على سماحة هذا الدين.

٤ ــ سماح الرسول ﷺ للصحابيات الجليلات وأمهات المؤمنين أن يداوين الجرحى ويسقين العطشى في المعارك والغزوات، وتمريض رفيدة الإسلامية لسعد بن معاذ، ورُقية الشفّاء للصحابي الأنصاري من النملة.. إلخ كما تقدم معنا.

والرد على هذه النقاط يتلخص في الآتي:

١ ــ إن عدم وجود عدد كاف من الممرضين الذكور راجع إلى أننا أهملنا فتح مدارس التمريض للذكور، وهو أمر ميسور، وإذا وفّرنا ذلك فإننا لن نحتاج للممرضات في أقسام الرجال.

وقد عملتُ شخصياً طبيباً في مستشفيات بريطانيا. وكان في بعض المستشفيات عدد كافٍ من الممرضين الذكور.. وكان الممرضون الذكور منتشرون في أقسام الرجال إلى الخمسينات من القرن العشرين. ثم بدأ عددهم في التناقص، وأوكل الأمر إلى الممرضات الإناث.

٢ ــ إن إثبات كفاءة الممرضات لا يعني أن الرجل لا يستطيع أن يقوم بمهمة التمريض. فقد أثبت الواقع أن الرجال كانوا أقدر على أداء مهماتهم في أقسام الرجال عندما كان يتاح لهم ذلك.

٣ ــ وجود الآسيات في التاريخ الإسلامي دلالة على

عظمة هذا الدين وسماحته... ومع هذا لم يذكر أحد أن المستشفيات (البيمارستانات)، التي انتشرت في العالم الإسلامي بأكمله، كانت تقوم على النساء الممرضات فقط، بل كانت أقسام النساء للنساء فقط، وأقسام الرجال للرجال فقط.

٤ ــ الأحاديث الشريفة الواردة في إباحة مداواة النساء للرجال والرجال للنساء هي عند فقد الطبيب أو الطبيبة.. وما جاء في الأحاديث كان في وقت المعارك وانشغال الرجال بالقتال فكان لا بد من استنفار طاقة الأمة بأكملها وإعطاء المرأة دورها لعدم وجود الرجال.. وكذلك التداوي في وقت السلم فإن كشف العورة، وخاصة المغلظة، مشروط بالضرورة أو الحاجة عند عدم وجود من يطبّه من جنسه.

والغريب حقاً أن إحدى الزميلات من الطبيبات لديها شهادة الدكتوراة في الأمراض الجنسية وقد حاولت أن تعمل في ميدان تخصصها في معالجة النساء فقط، فلم تستطع لأن كل المستشفيات التي حاولت الالتحاق بها طلبن منها أن تداوي الرجال والنساء، وأن تكشف على عوراتهم جميعاً!! وقد رفضت ذلك ومكثت سنين وهي ترفض، واتصلت بي هاتفياً، فطلبتُ منها أن تتصل بسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز الرئيس العام لدائرة الإفتاء والدعوة والإرشاد ليفتيها ويوجهها إلى ما يجب عمله في هذه الظروف.

وكان نظام القابلات نظاماً جيداً معمولاً به في كل أنحاء العالم ولا يزال. ولكننا للأسف الشديد بدأنا نهمله، مع أن القابلات يستطعن القيام بتوليد ٩٠ ـ ٩٥ بالمئة من النساء. ويمكن أن يتم ذلك في البيوت. والحالات المتعسرة تحوّلها القابلة إلى المستشفى.

ولكننا نصرُّ، للأسف، على أن تذهب نساءنا إلى المستشفيات للولادة الطبيعية، وحيث يشرف عليها في الغالب طبيب رجل (مسلم أو غير مسلم)، وبتكاليف كبيرة، سواء كان ذلك في المستشفيات الخاصة، أو المستشفيات الحكومية حيث تتحمل الدولة النفقات.

والواقع الذي تدعو إليه منظمات الصحة العالمية، هو إيجاد قابلات مؤهلات تأهيلاً عالياً، وأن يتم توليد الأغلبية الساحقة من النساء في بيوتهن، بكلفة أقل، وفي ستر دون الحاجة إلى أن يتكشفن للرجال.

ولا بد من إيجاد كليات للقابلات والاهتمام بهن وبمستواهن حتى يستطعن أن يقمن بهذه المهمة النبيلة. كذلك لا بد من إيجاد كلية طب لأمراض النساء والولادة بحيث تدخل الطالبة بعد الثانوية مباشرة إليها، وتتخرج بعد ست أو سبع سنوات طبيبة أخصائية في أمراض النساء والولادة وذلك ييسّر تخريج دفعات متكاملة من طبيبات أمراض النساء والتوليد.

أما النظام الحالي فيقتضي الطالبة أن تدرس الطب بفروعه المختلفة ثم تتخرج بعد ست سنوات طبيبة عامة، ثم عليها بعد ذلك أن تدرس مرة أخرى لثلاث أو أربع سنوات لتتخصص في أمراض النساء والتوليد.

ومعنى ذلك باختصار أن يفوتها قطار الزواج، لأنها ستتخرج طبيبة عامة وهي في الرابعة أو الخامسة والعشرين من عمرها، وعليها أن تعمل فترة، ثم تتخصص. وهذا الفرع من الطب يحتاج إلى تضحيات كبيرة، وإلى ترك المنزل في الليل والنهار مما يجعل الطبيبات يعزفن عن التخصص فيه إلا ما ندر.

أما إذا وفرنا للطالبات، خريجات الثانوية، كلية لطب النساء والولادة فإنهن سيتخرجن متخصصات في هذا الفرع مباشرة دون الحاجة لقضاء عشر سنوات أو أكثر كما هو النظام الحالي.

وإذا كانت الأسنان تستحق منا أن نفرد لها كلية خاصة بها، فإن أمراض النساء والتوليد تستحق كلية بذاتها. تدرس فيها الطالبة كل ما تحتاج إليه في هذا التخصص بالإضافة إلى دراسة عامة عن فروع الطب الأخرى. وهو ما يحدث حتى في كليات طب الأسنان اليوم.

بهذه الطريقة نستطيع أن نوفر الطبيبات المسلمات المختصات بهذا الفرع المهم، ونجنب بالتالي زوجاتنا وأخواتنا

وبناتنا من انكشاف عوراتهن لدى أطباء النساء والولادة. . وهو أمر ميسور إن صدقت النيّات وتقدمت التوصيات إلى الحكومات والجامعات ووزارات التعليم العالي بذلك. . . والله ولي التوفيق لا رب غيره ولا معبود سواه.

ملحوظة: هناك كليات طب في بريطانيا والولايات المتحدة وباكستان ودبي لا تقبل إلا النساء فقط وتمنع الاختلاط بالرجال منعاً باتاً. فإذا كان الأمر كذلك في أوربا والولايات المتحدة وهي بلاد الاختلاط فكيف لا يمكن المسلمين القيام به في بلادهم؟ والحمد لله أن باكستان قد نفذت ذلك في كلية فاطمة جناح. . وهناك أيضاً كلية تعلم الطب للبنات فقط في دبي وهذه التجربة يمكن تعميمها والاستفادة منها.

• • •

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على
سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه

قرار رقم: ٨٥/ ١٢/ ٨٦

بشــأن

مداواة الرجل للمرأة

إن مجلس مجمع الفقه الإسلامي المنعقد في دورة مؤتمره الثامن ببندر سيري باجوان، بروناي دار السلام من ١ إلى ٧ محرم ١٤١٤هـ الموافق ٢١ ــ ٢٧ يونيو ١٩٩٣م.

بعد اطلاعه على البحوث الواردة إلى المجمع بخصوص موضوع: «مداواة الرجل للمرأة».

وبعد استماعه إلى المناقشات التي دارت حوله، قرر ما يلي:

١ ــ الأصل أنه إذا توافرت طبيبة متخصصة يجب أن تقوم بالكشف على المريضة وإذا لم يتوافر ذلك فتقوم

بذلك طبيبة غير مسلمة ثقة، فإن لم يتوافر ذلك يقوم به طبيب مسلم، وإن لم يتوافر طبيب مسلم يمكن أن يقوم مقامه طبيب غير مسلم. على أن يطّلع من جسم المرأة على قدر الحاجة في تشخيص المرض ومداواته وألا يزيد عن ذلك وأن يغضّ الطرف قدر استطاعته، وأن تتم معالجة الطبيب للمرأة هذه بحضور محرم أو زوج أو امرأة ثقة خشية الخلوة.

٢ ــ يوصي المجمع أن تولي السلطات الصحية جل جهدها لتشجيع النساء على الانخراط في مجال العلوم الطبية والتخصص في كل فروعها، وخاصة أمراض النساء والتوليد، نظراً لندرة النساء في هذه التخصصات الطبية، حتى لا نضطر إلى قاعدة الاستثناء. والله أعلم.

● ● ●

التداوي عند الكافر
وأطباء أهل الذمة في الإسلام

❑ مداواة الكافر للمسلم:

نظرة تاريخية:

لقد كان معظم الأطباء في العصر الأموي والعصر العباسي الأول بل والثاني من أهل الذمة من غير المسلمين من اليهود والنصارى والصابئة، وكان بعضهم من الهنادكة. وظهر هؤلاء في الدول الإسلامية المختلفة وتولوا مناصب الدولة الهامة، وظلَّ منصب طبيب الخليفة محتكراً للنصارى والصابئة واليهود لفترة طويلة من الزمان.

❑ ترك المسلمين لعلم الطب:

وقد كان الإمام الشافعي رحمه الله يتحسّر على ما ضيّع المسلمون من علم الطب. وكان الشافعي رحمه الله مهتماً بعلم الطب مدركاً للكثير من أسراره، ولولا اشتغاله بالفقه واعتماد الأمة في ذلك عليه، وحاجتها له، لاشتغل بالطب. وكان

رحمه الله يقول: «العلم علمان علم الأديان وعلم الأبدان». وعلم الأديان الفقه وعلم الأبدان الطب.

وكان الإمام الغزالي يشدد النكير على ترك المسلمين لعلم الطب، واهتمامهم بفروع الفقه، وعلم الكلام، مع أن الفقهاء كثير والأطباء من المسلمين قليل، وهم يحتاجون للطب ولا يجدون طبيباً مسلماً.

قال رحمه الله في الإحياء[1]: «فكم من بلدة ليس فيها طبيب إلا من أهل الذمة، ولا يجوز قبول شهادتهم فيما يتعلق بالأطباء من أحكام الفقه، ثم لا نرى أحداً يشتغل به، ويتهاترون على علم الفقه، لا سيّما الخلافيات والجدليات. والبلد مشحون من الفقهاء بمن يشتغل بالفتوى والجواب عن الوقائع. فليت شعري كيف يرخّص فقهاء الدين في الاشتغال بفرض كفاية قد قام به جماعة (وهو فروع علم الفقه) وإهمال ما لا قائم به (وهو الطب)؟ هل لهذا سبب إلا أن الطب لن يتيسر به الوصول إلى تولي الأوقاف والوصايا وحيازة مال اليتيم، وتقلّد القضاء والحكومة، والتقدم به على الأقران، والتسلّط على الأعداء».

وقال في موضع آخر عن الطب والعلوم غير الشرعية[2]:

«فالعلوم التي ليست بشرعية تنقسم إلى ما هو محمود وإلى

---

(١) محمد بن محمد الغزالي: إحياء علوم الدين ج ١/ ٢١ كتاب العلم.

(٢) الإحياء ج ١/ ١٦ كتاب العلم.

ما هو مذموم وإلى ما هو مباح. فالمحمود ما يرتبط به مصالح الدنيا كالطب والحساب. وذلك ينقسم إلى ما هو فرض كفاية وإلى ما هو فضيلة ــ ليس بفريضة. أما فرض الكفاية فهو علم لا يستغنى عنه في قوام أمور الدنيا كالطب. إذ هو ضروري في حاجة بقاء الأبدان، وكالحساب فإنه ضروري في المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث وغيرهما. فلا يُتعجّب من قولنا أن الطب والحساب من فروض الكفايات، فإن أصول الصناعات أيضاً من فروع الكفايات كالفلاحة والحياكة والسياسة بل الحجامة والخياطة، فإنه لو خلا البلد من الحجام تسارع الهلاك إليهم، وحرجوا بتعريض أنفسهم للهلاك، فإن الذي أنزل الداء أنزل الدواء وأرشد إلى استعماله وأعدّ الأسباب لتعاطيه فلا يجوز التعرض للهلاك بإهماله».

ولم يكن الغزالي وحده هو الذي شدد النكير على إهمال المسلمين لعلم الطب (رغم ظهور عدد من مشاهير الأطباء فيهم مثل أبي بكر الرازي وابن سينا والزهراوي وكلهم قد سبقوا الغزالي في الزمن)، وإنما شارك الغزالي هذا النكير عدد من الفقهاء والعلماء الأجلاء نذكر منهم محمد بن محمد بن أحمد القرشي المعروف باسم ابن الأخوة القرشي في كتابه «معالم القربة في أحكام الحسبة»[1] حيث قال: «الطب من فروض

---

(١) ابن الأخوة القرشي: معالم القربة في أحكام الحسبة ص ٢٥٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

الكفاية[1]، ولا قائم به من المسلمين. وكم من بلد ليس فيه طبيب إلا من أهل الذمّة، ولا يجوز قبول شهادتهم فيما يتعلق بالطب من أحكام (الدين)، ولا نرى أحداً يشتغل به. ويتهافتون على علم الفقه، والبلد مشحون من الفقهاء، فكيف يرخّص الدين في الاشتغال بفرض كفاية قد قام به جماعة، وإهمال ما لا قائم به».

☐ تسامح الإسلام مع غير المسلمين وإباحة التداوي عند الكافر:

والواقع إن الإسلام والمسلمين كانوا في منتهى التسامح مع غير المسلمين بشرط أن لا يظهروا العداء للإسلام والمسلمين، على عكس ما يفعله أعداء الإسلام عندما تكون لهم الشوكة.

وقد استأجر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عبد الله بن أريقط ليكون دليله في الهجرة من مكة إلى المدينة. أخرج البخاري في صحيحه[2] عن عائشة رضي الله عنها قالت: «استأجر رسول الله ﷺ وأبو بكر، رجلاً من بني الديل، هادياً خرّيتاً[3] وهو على دين كفار قريش فدفعا إليه راحلتيهما وواعداه غار ثور

---

(١) فرض الكفاية هو الذي يجب على الأمة بمجموعها فإن قام به البعض وإلا أثمت الأمة بكاملها حتى تُخرج من يقوم بهذا الفرض.

(٢) صحيح البخاري ج ٥/٧٦.

(٣) الخرّيت: الماهر الحاذق الذي يهتدي لخرت الإبرة من دقة نظره.

بعد ثلاث ليال براحلتيهما، صبح ثلاث» وقال ابن إسحاق في السيرة: «استأجر رسول الله ﷺ عبد الله بن أرقط أو أريقط، رجلاً من بني الدئل (الديل)، وكان مشركاً يدلّهما على الطريق فكانتا عنده يرعاهما لميعادهما»[1].

واستخدم ابن القيم رحمه الله هذه الحادثة ليدلل على جواز استخدام الكافر الثقة في الطب وغيره إذا كان مأموناً. قال في بدائع الفوائد: «في استئجار النبي ﷺ عبد الله بن أريقط هادياً في وقت الهجرة، وهو كافر دليل على جواز الرجوع إلى الكافر في الطب والأدوية والحساب والعيوب ونحوها، ما لم يكن ولاية تتضمن عدالة. ولا يلزم من كونه كافراً ألّا يوثق به في شيء أصلاً، فإنه لا شيء أخطر من الدلالة في الطريق ولا سيما في مثل طريق الهجرة»[2].

❏ رأي ابن تيمية في التداوي عند الكافر:

واتجه هذا الاتجاه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فأباح التداوي عند الكافر مع وجود الطبيب المسلم إذا كان الكافر ثقة مأموناً، ولكن لا يؤخذ بقوله في الأمور الطبية المتعلقة بالشرع كالإفطار في رمضان، والصلاة قاعداً، وتناول الدواء المحرم المحتوي على الخمر أو النجاسات.

---

(١) سيرة ابن إسحاق ج ١/ ٤٨٥.

(٢) بدائع الفوائد لابن القيّم ج ٣/ ٢٠٨.

قال ابن مفلح الحنبلي في كتاب الآداب الشرعية[1]:

«قال الشيخ تقي الدين (ابن تيمية): إذا كان اليهودي أو النصراني خبيراً بالطب، ثقة عند الإنسان جاز له أن يستطبه، كما يجوز له أن يودعه المال وأن يعامله كما قال تعالى: ﴿ ۞ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ ﴾[2]. وفي الصحيح أن النبي ﷺ لما هاجر استأجر رجلاً مشركاً هادياً خريتاً. والخريّت الماهر بالهداية، وائتمنه على نفسه وماله. وكانت خُزاعة عيبة[3] لرسول الله مسلمهم وكافرهم. وقد رُوي أن النبي ﷺ أمر أن يُستطبَّ الحارث بن كلدة وكان كافراً وإذا أمكنه أن يستطبَّ مسلماً فهو كما لو أمكنه أن يودعه أو يعامله، فلا ينبغي أن يعدل عنه. وأما إذا احتاج إلى ائتمان الكتابي واستطبابه فله ذلك، ولم يكن من ولاية اليهود والنصارى المنهي عنه. وإذا خاطبه بالتي هي أحسن كان حسناً فإن الله تعالى يقول: ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ﴾[4] انتهى.

---

(١) محمد بن مفلح المقدسي الحنبلي: الآداب الشرعية والمنح المرعية، مؤسسة قرطبة، القاهرة ج ٢/ ٤٤١، ٤٤٢.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٧٥.

(٣) العيبة كيس يحرز فيه الرجل النفائس والمقصود أنهم موضع السر والأمانة.

(٤) سورة العنكبوت: الآية ٤٦.

وهكذا نجد ابن تيمية رحمه الله يجيز التداوي عند الكافر متى ما كان ثقة، ولكنه في نفس الوقت قال: «وإذا أمكنه أن يستطب مسلماً فهو كما لو أمكنه أن يودعه أو يعامله فلا ينبغي أن يعدل عنه». وهو قول دقيق يدلُّ على كراهته الاستطباب عند الكافر متى وجد المسلم إلا إذا كان الكافر أمهر في ذلك الفرع من الطب، فقد قال بذلك جماعة من الفقهاء، وسيأتي الكلام فيه.

❏ أدلّة جواز استطباب الكافر:

وقد استدل العلماء بجواز استطباب الكافر متى كان ثقة بالأدلة التالية:

١ ــ استئجار رسول الله ﷺ لعبد الله بن أريقط الديلي دليلاً هادياً في رحلة الهجرة مع خطورتها. وكان رجلاً مشركاً على دين قريش كما روت عائشة رضي الله عنها (صحيح البخاري).

٢ ــ كانت خزاعة عيبة نصح لرسول الله ﷺ مسلمهم وكافرهم. وقد بعث بسر بن سفيان الخزاعي (وكان مشركاً آنذاك) عينا له إلى مكة ليأتيه بخبر أهلها. قال أبو الخطاب الحنبلي: «إن قبوله خبر هذا الخزاعي دليل على جواز قبول المتطبب الكافر فيما يخبر به عن صفة العلة ووجه العلاج، إن كان غير متهم فيما يصفه وكان غير مظنون الريبة»(١).

---

(١) كما ينقله عنه ابن مفلح في الآداب الشرعية ج ٢/ ٤٤٢.

٣ ـ ما رُوي عن النبي ﷺ أنه أمر بالتداوي عند الحارث بن كلدة وكان آنذاك مشركاً. وقد أخرج هذا الحديث أبو داود في سننه[١] عن مجاهد عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: مرضتُ مرضاً فأتاني رسول الله ﷺ يعودني فوضع يده بين ثديَيَّ حتى وجدت بردها على فؤادي وقال: إنك رجل مفؤود فأتِ الحارث بن كلدة أخا ثقيف فإنه رجل يتطبب فليأخذ سبع تمرات من عجوة المدينة فليجأهن بنواهن ثم ليلدّك بهن».

هذا الحديث رواه مجاهد عن سعد ومجاهد لم يدرك سعداً. وقال ابن أبي حاتم في المراسيل[٢]: إنما يروى عن مصعب بن سعد. وأخرجه الطبراني من وجه آخر وفيه ضعف[٣]. وأخرج الحديث أيضاً سعيد بن منصور وابن السُّني وأبو نعيم كلهم عن مجاهد عن سعد بن أبي وقاص. وذكر هذا الحديث كل من كتب في الطب النبوي مثل عبد الملك بن حبيب الأندلسي المتوفى سنة ٢٣٦هـ (وهو من أقدم كتب الطب النبوي) والكحال ابن طرخان، والموفق عبد اللطيف البغدادي (ابن اللباد)، والذهبي وابن القيم، والسيوطي في المنهج السوي والمنهل الروي في الطب النبوي، وغيرهم كثير.

---

(١) سنن أبي داود ج ٢/ ٣٣٥.

(٢) المراسيل لابن أبي حاتم ص ٢٠٥.

(٣) مجمع الزوائد ج ٥/ ٨٨.

وفي هذا الحديث ضعف في سنده. ولهذا ذكره الإمام ابن تيمية بصيغة التمريض (وقد رُوي).

ألفاظ الحديث: قال الخطابي: المفؤود الذي أصيب فؤاده. ويقال إن الفؤاد غشاء القلب. وقال الكحال ابن طرخان الحموي في كتابه الأحكام النبوية في الصناعة الطبية: الفؤاد على مذهب الأطباء يقال على عضوين في البدن: أحدهما رأس المعدة (ومنه الفتحة الفؤادية) وأعلاها وهو الفؤاد الأصغر وعليه يدلُّ لفظ الحديث. والثاني أنه القلب ويدلّ عليه قول الشاعر:

إن الكـــلام لفـــي الفـــؤاد وإنمـــا
جُعـــل اللســـان علـــى الفـــؤاد دليـــلاً

ويجأهن أي يرضَّهن. واللدود: ما يسقاه الإنسان من أحد جانبي الفم (أخذ من لديد الوادي وهو جانبه).

والعجوة تمر خاص من تمر المدينة من أفضل أنواعه. وقد أمر النبي ﷺ أن يأخذ سبع تمرات فيرضهنَّ بنواهن ثم يقوم بلّد سعد. وهذا من خصائص المدينة وتمرها فإن في تمرها خصائص ليست لغيرها مثل الوقاية من السم كما ورد في أحاديث أخرى[1]. وللعدد (السبع) خاصية أخرى. وقد تكلم بإسهاب

---

(١) مثل قوله ﷺ: «من تصبح سبع تمرات عجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر». أخرجه الشيخان وأبو داود والنسائي وغيرهم.

حول هذا الحديث الإمام السيوطي في كتاب المنهج السوي والمنهل الروي في الطب النبوي الذي حققه الدكتور حسن مقبولي الأهدل، وكذلك أفاض فيه ابن القيم في الطب النبوي فليراجعهما من أراد المزيد.

❑ الحارث بن كلدة الثقفي:

وأما الحارث بن كلدة فقد ترجم له ترجمة وافية ابن أبـي أصيبعه في «عيون الأنباء في طبقات الأطباء»[1] والحارث بن كلدة بن عمر بن علاج الثقفي من الطائف يعتبر أشهر أطباء العرب في الجاهلية. درس الطب في جند يسابور (المدرسة الطبية المشهورة في فارس) وأضاف إليه من تجاربه الكثير. عاش في الجاهلية وأدرك الإسلام. وذكر ابن عبد البر في الاستيعاب[2] أنه مات مشركاً في نأناة الإسلام. وأنكر القفطي في تاريخ الحكماء إسلامه[3]، بينما زعم ابن أبـي أصيبعه في عيون الأنباء في طبقات الأطباء، وعبد الملك بن حبيب الأندلسي في الطب النبوي أنه مات مسلماً. وقد زعم ابن أبـي أصيبعه أنه عاش أيام أبـي بكر

---

(١) أحمد بن القاسم السعدي الخزرجي (ابن أبـي أصيبعة): عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق د. نزار رضا، دار الحياة، بيروت ١٩٦٥ ص ١٦١ ــ ١٦٧.

(٢) ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ج ١/ ٢٨٣.

(٣) القفطي: تاريخ الحكماء ص ١٦٣.

وعمر وعثمان وعلي وأدرك شطراً من زمن معاوية، وقال آخرون أنه تُوفي في خلافة عمر رضي الله عنه.

ويُروى أن عمر سأل الحارث فقال له: ما الدواء أو ما الطب يا حارث؟ فقال: الأزم (أي الجوع) يا أمير المؤمنين. وقد ذكر عبد الملك بن حبيب أن عمر رضي الله عنه سأل الحارث عن دواء الخاصرة (ألم الكلى)، فقال: الحلبة تطبخ ويجعل فيها سمن البقر. وأما إذا كنا على غير الإسلام فالخمر وسمن البقر. قال عمر: لا نسمع منك ذكر الخمر فإني لا آمن إن طالت مدة من لا ورع له أن يتداوى بها.

وذكر ابن أبـي أصيبعه قصة مداواته لسعد بن أبـي وقاص رضي الله عنه بأمر النبـي ﷺ بعد فتح مكة. فأمر الحارث باتخاذ العجوة والحلبة يطبخان فتحسّاها سعد فبرىء.

وأورد ابن أبـي أصيبعه محاورة الحارث مع كسرى عند قدومه عليه فأعجب به. وهي محاورة طويلة، ولا يمكن التثبت من صحتها، ومما جاء فيها سأل كسرى الحارث قائلاً: ما أصل الطب؟ قال الحارث: الأزم! قال: فما الأزم؟ قال: ضبط الشفتين والرفق باليدين. قال: أصبت. وقال كسرى: فما الداء الدويّ؟ قال: إدخال الطعام على الطعام، هو الذي يفني البريّة ويهلك السباع في جوف البرّيّة قال: فما الجمرة التي تصطلم منها الأدواء؟ قال: هي التخمة إن بقيت في الجوف قتلت، وإن

تحللت أسقمت. قال: فما تقول في الحجامة؟ قال: في نقصان الهلال في يوم صحو لا غيم فيه، والنفس طيبة والعروق ساكنة! قال: فما تقول في دخول الحمّام؟ قال: لا تدخله شبعاناً، ولا تغشَ أهلك سكراناً، ولا تقم بالليل عرياناً، ولا تقعد على الطعام غضباناً، وارفق بنفسك يكن أرضى لبالك، وقلّل من طعامك يكن أهنأ لنومك. قال: فما تقول في الدواء؟ قال: ما لزمتك الصحة فاجتنبه، فإن هاج داء فاحسمه بما يردعه قبل استحكامه فإن البدن بمنزلة الأرض إن أصلحتها عمرت، وإن تركتها خربت...».

ثم يستمر الحوار الطويل الذي يبدو أن أحد الأطباء في العهد العباسي قد كتبه بأسلوب جميل يستعرض فيه مقولات الطب في ذلك العصر الزاهي ثم نسبه إلى الحارث. وينسب إلى الحارث بعض الأقوال الطبية مثل قوله: البطنة (ويروى المعدة) بيت الداء والحمية رأس الدواء وعودوا كل بدن ما اعتاد. وقد نسب هذا الكلام إلى الرسول ﷺ وإلى الطبيب عبد الملك بن أبجر طبيب عمر بن عبد العزيز.

وقد استدل ابن حجر العسقلاني بقصة مداواة الحارث لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه على جواز التداوي عند الكافر متى عرف بالطب وكان ثقة[١].

---

(١) ابن حجر: الإصابة ج ١/ ٢٨٨.

والخلاصة؛ إن الفقهاء استدلوا بحديث أبـي داود وأمر النبـي لسعد بأن يتداوى عند الحارث بن كلدة، وكان مشركاً آنذاك، بجواز التداوي عند الكافر المعروف بالطب والمؤتمن، مع أن الحديث في سنده ضعف؛ لأن مجاهداً راوي الحديث لم يلق سعداً رضي الله عنه، فهو (أي الحديث) من المراسيل.

❏ رقية اليهودي للمسلم:

٤ ــ ما رواه أبو داود في سننه عن زينب امرأة عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما قالت: سمعت عبد الله بن مسعود يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الرقي والتمائم والتوِله[١] شرك. قلتُ: لم تقول هذا. والله لقد كانت عيني تقذف (أي بالرمص والوسخ)، فكنت أختلف إلى فلان اليهودي فيرقيني، فإذا رقاني سكَنَتْ (أي عينها فتوقف الألم والإفراز). فقال عبد الله: إنما ذلك عمل الشيطان كان ينخسها بيده، فإذا رقاها كفَّ عنها. إنما يكفيك أن تقولي ما كان رسول الله ﷺ يقول «أذهب البأس، ربَّ الناس، اشفِ أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقماً»[٢].

---

(١) ضرب من السحر من أجل المحبة حيث تجعل المرأة ذلك لزوجها ليشتد حبه لها.

(٢) انظر عون المعبود شرح سنن أبـي داود لمحمد شمس الحق العظيم آبادي. دار الفكر، بيروت ج ٣٦٧/١٠ كتاب الطب، باب تعليق التمائم.

وقول عبد الله بن مسعود (إنما ذلك عمل الشيطان) أي من فعله وتسويله، أي أن الوجع الذي كان في عيني زوجته لم يكن وجعاً في الحقيقة بل ضرب من ضربات الشيطان ونزغاته. فإذا رقاها اليهودي كفَّ الشيطان عن نخس العين وإثارة ما بها. لذا أمرها ابن مسعود بالدعاء، المأثور عن النبي ﷺ.

قال المنذري: والحديث أخرجه ابن ماجه. وليس في الحديث ما يدلُّ على منع الرقية من اليهودي وإن كان قد أمرها بما هو أفضل من ذلك وهو الدعاء الوارد عن النبي ﷺ.

٥ ـ أخرج الإمام مالك في الموطأ[١] والبيهقي[٢] في سننه عن عمرة بنت عبد الرحمن رضي الله عنها: أن أبا بكر دخل على عائشة وهي تشتكي ويهودية ترقيها فقال أبو بكر: ارقيها بكتاب الله.

وقد سئل الشافعي رحمه الله: أيرقي أهلُ الكتاب المسلمين؟ قال: نعم إذا رقوا بما يعرف من ذكر الله.

والإشكال كيف ترقي اليهودية أو اليهودي المسلم أو المسلمة وكتابهم التوراة قد حُرِّفَ وبُدِّل وفيه من الغثاء الكثير، بل ولدى اليهود من تعاليم السحر والكبالا المدونة لديهم في التلمود الذي يعتبرونه أهم من التوراة نفسها ما لا مزيد عليه. وقد

(١) الموطأ ص ٦٧٣.

(٢) سنن البيهقي ج ٩/ ٣٤٩.

تعلم اليهود السحر عندما كانوا منفيين في بابل، وصاروا مختصّين به ومن أمهر الناس فيه. وحاولوا سحر النبي ﷺ في المدينة. وأمرهمْ في ذلك معروف مشهور، فكيف يمكن أن نثق بهم وهم ألدّ أعداء الله وأعداء المسلمين؛ وقد أوضح الإمام الشافعي رحمه الله أنه لا بد من معرفة الرقية فإن كانت مما يعرف من ذكر الله فلا بأس بذلك. وإن كانت فيها طلاسم أو حروف مغلقة غير معروفة وتمتمات لم يجز التداوي بها.

لهذا كله مال كثير من الفقهاء إلى عدم الترخص بالتداوي عند الذميين إلا في حالة عدم وجود طبيب مسلم. فقد رُوى عن الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه أنه كره دواء المشرك. وقال المروزي (أحد تلامذة أحمد): كان يأمرني أن لا أشتري له ما يصف له النصارى ولا يشرب من أدويتهم. وعلّل ذلك بأنه لا يؤمن أن يخلطوا في الدواء شيئاً من النجاسات والمحرمات كالخمر والخنزير وغيرهما.

٦ ـ أخرج أحمد في مسنده والهيثمي في مجمع الزوائد وقال: رواه البزار والطبراني في الأوسط والكبير عن هشام بن عروة بن الزبير قال: كان عروة (وهو ابن الزبير وابن أسماء بنت أبـي بكر رضي الله عنهم) يقول لعائشة رضي الله عنها: يا أمتاه لا أعجب من فقهك، أقول زوجة رسول الله وابنة أبـي بكر، ولا أعجب من علمك بالشعر وأيام العرب، أقول ابنة أبـي بكر،

وكان أعلم الناس، ولكن أعجب من علمك بالطب كيف هو؟ ومن أين هو؟ قال: فضربت على منكبه وقالت: أي عُريّة (تصغير عروة)! إن رسول الله ﷺ كان يسقم عند آخر عمره فكانت تقدم عليه وفود العرب من كل وجه فتنعت له الأنعات، وكنت أعالجها له، فمن ثمَّ. وفي رواية: «**كانت أطباء العرب والعجم يبعثون له، فتعلمت ذلك**».

ووجه الدلالة أن أطباء العرب والعجم والبعوث كان فيهم المسلم والكافر، فلم يمنع من التداوي عند الكافر، والاستفادة من وصفاته الطبيّة (النعوت).

رغم هذا كله فإن الاتجاه العام لدى معظم الفقهاء كان لا يحبّذ التداوي عند الكفار لعدم الثقة بهم، ولأن في ذلك تشجيع وتكريم لهم، ولعدم قبول شهادتهم. ولذا فإن أقوالهم في الفطر في رمضان، والصلاة جالساً، والمسح على العضو عند الوضوء، والتداوي بالخمر والنجاسات والمحرمات لا يؤخذ بها.. وتزداد الكراهة عند نظرهم إلى عورات نساء المسلمين المغلظة.

❑ كلام ابن مفلح في التداوي عند الكافر:

قال ابن مفلح في كتابه الآداب الشرعية[1] تحت باب:

فصل في استطباب غير المسلمين وائتمانهم:

(١) أبو عبد الله محمد بن مفلح المقدسي الحنبلي: الآداب الشرعية والمنح المرعية ج ٢/٤٤١، ٤٤٢.

«يكره أن يستطبَّ مسلمٌ ذمياً لغير ضرورة، وأن يأخذ منه دواء لم يبيّن مفرداته المباحة، وكذا ما وصفه من الأدوية أو عمله، ذكره في (كتاب) الرعاية وغيرها.

«وذكروا ألا تطبَّ ذميّة مسلمة، ولا تقبلها (من القبالة وهي التوليد) مع وجود مسلمة تطبّها أو تقبلها. وقال في (كتاب) مجمع البحرين: يجوز أن يُستَطبَّ أهل الذمة في أحد الوجهين.. وذكر أبو الحسين في مسألة نظر الذميّة لمسلم أنه يجوز أن يستطبَّ ذميّاً إذا لم يجد غيره على احتمال في المذاهب. قال المروزي: أدخلتُ على أبي عبد الله (يقصد الإمام أحمد ابن حنبل) رحمه الله نصرانياً فجعل يصفُ (الدواء) وأبو عبد الله يكتب ما وصفه، ثم أمرني فاشتريت له. قال القاضي إنما يُرجع إلى قوله في الدواء المباح فإن كان موافقاً للداء فقد حصل المقصود، وإن لم يوافق فلا حرج في تناوله. وهذا بخلاف ما لو أشار بالفطر في الصوم، والصلاة جالساً ونحو ذلك لأنه خبر فتعلقَّ بالدين فلا يقبل. قال أحمد رحمه الله في رواية أحمد بن الحسين الترمذي: يُكره شرب دواء المشرك. وقال المروزي: كان (أي أحمد) يأمرني أن أشتري له ما يصف له النصارى ولا يشرب من أدويتهم (الجاهزة المركبة). وللدلالة عليه أنه لا يؤمن أن يخلطوا بذلك شيئاً من السمومات والنجاسات. فهذا من القاضي يقتضي أن لا يجوز استعمال دواء

ذميّ لم تعرف مفرداته. وسبق في الرعاية الكراهة. وقد كرهه أحمد. وفيما كرهه الخلاف المشهور هل يحرم أو يكره؟».

ثم نقل كلام الإمام ابن تيمية المتقدم ذكره.

كلام ابن الحاج في التداوي عند الكافر وأقوال المذاهب:

وقال ابن الحاج في المدخل[1]:

«ينبغي أن ينظر إلى من هو أصلح في الوقت من أطباء الملسمين في المعرفة والتجربة والدين فيسكن إلى وصفه. ويتعيّن ترك استعمال أهل الأديان الباطلة لأنه لا يُرجى منهم نصح ولا خير، بل يقطع بغشهم وإيذائهم لمن ظفروا به من المسلمين. ومن كان بهذه المثابة فيتعين أن لا يركن إليه لأن هذا خطر عظيم، فإنه لا يؤمن أن يدسّوا عليه شيئاً في الأدوية التي يصفونها له ما يضرّه من غير أن يفطن لذلك، ولأن اتخاذ العلماء من المسلمين أطباء من أهل الذمة يدعو إلى أن يقتدي بهم من لا علم له من المسلمين في ذلك، ولأن في استطباب غير المسلمين إعانة لهم على كفرهم بما يُعطى لهم من أجر في مقابل التطبيب. وفيه تعظيم لشأنهم وخاصة إذا كان يداوي رئيساً أو عظيماً فيتعززون على المسلمين بسبب صلتهم به[2].. وقد تحتاج المرأة

---

(١) المدخل لابن الحاج ج ٤/١٠٧ ــ ١١٢ بتصرف واختصار.

(٢) كان كثير من أطباء اليهود والنصارى الذين وصلوا للمكانة العليا في =

المسلمة إلى كشف بعض بدنها لإبداء موضع المرض فيباشر ذلك منها، وهو أمر قبيح.

ويجوز استطباب غير المسلم عند الضرورة إذا لم يوجد طبيب مسلم يمكنه القيام بعمله».

وهذا هو المعتمد في المذهب المالكي. أما الشافعية فيذهبون إلى جواز استطباب غير المسلم عند عدم وجود الطبيب المسلم. والمعتمد في المذهب أنه لو وجد طبيب كافر يرضى بأقل من أجرة المثل وطبيب مسلم لا يرضى إلا بأجرة المثل كان المسلم كالعدم أيضاً. ويقدم عليه الكافر في المداواة. وكذلك إن كان الكافر أمهر من المسلم قُدِّمَ الطبيب الكافر الأمهر. وتقدم الطبيبة الكافرة على الطبيب المسلم لمداواة المرأة المسلمة عند عدم وجود الطبيبة المسلمة[1].

= الدولة واختصوا بالخليفة والوزراء.. إلخ يترفع على المسلمين.. وبلغت ببعضهم الوقاحة إن كانوا يؤذون المسلمين ويتعززون عليهم بل يهاجمون الإسلام في كتاباتهم مثل اليهودي ابن النغريلة الذي كان وزيراً في الأندلس، وموسى بن ميمون الذي كان كبير أطباء صلاح الدين الأيوبي. وكان موسى يدسُّ ذلك في كتاباته العبرية.. ويوحنا الدمشقي أحد آباء الكنيسة وأحد المسؤولين في وزارة المالية في عهد عبد الملك بن مروان وأبرز مؤلفاته كتاب نبع المعرفة الذي قال فيه أن الإسلام ليس إلا هرطقة مسيحية!!.

(١) مغنى المحتاج ج ١٣٣/٣ ونهاية المحتاج وحاشيتا الشبراملسي والرشيدي ١٩٧/٦.

واختلف الحنابلة في التداوي عند الطبيب الكافر مع وجود المسلم، فقال بعضهم: يحرم، وقال آخرون: يكره. وأما إذا كان الطبيب الكافر ثقة وهو أمهر في ذلك الفرع من الطب من المسلم فيباح آنذاك التداوي عنده. وقد أخذ بهذا القول الإمام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم. وقد تقدم فيما سبق كلاهما.

وذهب **الأحناف** إلى جواز أن يستطب أهل الذمة فيما لا يتعلق بالدين فلا يقبل قول الطبيب الكافر في قوله للمريض لا بد من أن تفطر في رمضان، ولا بد أن تصلي جالساً، ولا بد أن تمسح ولا تتوضأ... إلخ[1] وهو أمر متفق عليه عند جميع المذاهب الإسلامية.

❑ الخلاصة في أقوال الفقهاء في استطباب الكافر:

والخلاصة أن المذاهب الإسلامية تبيح التداوي عند الطبيب الكافر عند عدم وجود الطبيب المسلم... ونبّهوا إلى التثبت مما يصفه من الأدوية المركبة لئلا يكون فيها محرم مثل الخمر والخنزير والضفدع والنجاسات... إلخ.

واعتبر الشافعية الطبيبة غير المسلمة مقدمة على الطبيب المسلم لمداواة المرأة المسلمة وتوليدها، وهو أمر لم يأخذ به الأحناف الذين يرون أن الطبيب المسلم مقدم على الطبيبة

---

(١) حاشية ابن عابدين ج ٢/١١٦.

الكافرة.. واعتبر الشافعية الأجر عاملاً مهماً فإذا رضي الطبيب الكافر بأقل من أجر المثل ولم يرض الطبيب المسلم بذلك اعتبر المسلم في حكم العدم. وكذلك عند وجود المهارة فإذا كان الكافر أمهر في طبه جاز التداوي عند الكافر مع وجود المسلم الأقل مهارة.

ولا بد في هذا كله أن يكون الطبيب محل ثقة كافراً كان أم مسلماً. ولا يسمع لقول الكافر في كل خبر متعلق بالدين كالفطر في رمضان والصلاة قاعداً والتداوي بالنجاسات والمحرمات، إذ لا بد في تلك الحالة من قول طبيب مسلم عدل.

يقول الدكتور عبد الفتاح محمود إدريس في بحثه أخلاقيات الطبيب المقدم للدورة الثامنة لمجمع الفقه الإسلامي[1]: «يرى جمهور الفقهاء أنه يجوز استطباب غير المسلم عند الضرورة. وأما في حال غير الضرورة فمنهم من حرَّم استطبابه ومنهم من كره ذلك. ووجه هؤلاء وأولئك في حرمة أو كراهة استطبابه أنه قد يدسَّ على المسلمين في الأدوية التي يصفها لهم ما قد يضرُّ بهم، أو يصف لهم دواء تتكون مفرداته من أشياء حرَّمها الشارع على المسلمين والنجاسات ونحوها. ولهذا

---

(١) د. عبد الفتاح محمود إدريس: أخلاقيات الطبيب. بحث مقدم لمجمع الفقه الإسلامي الدورة الثامنة ١ ــ ٧ محرم ١٤١٤هـ ٢١ ــ ٢٧ يونية ١٩٩٣، بروناي، دار السلام ص ٣٦.

فإن من قال بجواز استطبابه في حال الضرورة إليه، اشترط ضرورة استفصاله عن مفردات الدواء الذي وصفه، وعمّا إذا كان يشتمل على أشياء حرّمها الشارع على المسلمين أولاً، ولأن في استطباب غير المسلمين تعظيماً لشأنه. وفي هذا منافاة لما أمر به الشارع من تصغير شأنه، كما أن فيه إذلالاً للمسلم، وقد أعزّه الله بالإسلام، وفيه إعانة على كفره بما يعطي له من أجر في مقابل التطبيب، وتمكينه من الاطلاع على عورات المسلمات اللائي يطببهن، وهو غير مأمون عليهن، ولأن رأي أهل الخبرة من الأطباء معتبر في بعض الأحكام الشرعية، وغير المسلم لا يقبل قوله في ذلك، لأن ما يخبر عنه في هذه الحالة ليس شهادة، وليس هو من أهلها». انتهى.

ورغم هذا الموقف الفقهي المتشدد إلا أننا نجد الأطباء من غير المسلمين يملؤون صفحات التاريخ الطبي عند المسلمين. ولم يكن أطباء الخلفاء والوزراء وكبار رجال الدولة إلا من هؤلاء الأطباء السريان والنصارى واليهود والصابئة بل والهنادكة. وفيما يلي استعراض سريع للأطباء من غير المسلمين من عهد النبوة والصحابة إلى القرن السابع الهجري.

• • •

الأطباء من أهل الذمة
في العـهـود الإسـلامـيـة

❑ الأطباء من غير المسلمين في عهد النبوة والخلفاء الراشدين:

١ ــ الحارث بن كلدة الثقفي: وقد تقدم الكلام عنه. (رواه أبو داود).

٢ ــ اليهودية التي رقت زينب زوجة عبد الله بن مسعود من إصابة في عينها (رواه أبو دادو وابن ماجه).

٣ ــ اليهودية التي رقت عائشة رضي الله عنها. وقول أبـي بكر لها: ارقيها بكتاب الله (رواه مالك في الموطإ، والبيهقي في السنن).

٤ ــ ذكر عبد الملك بن حبيب الأندلسي الألبيري أن معاوية بن أبـي سفيان أرسل لعثمان رضي الله عنه طبيباً من الشام ليداويه. وكان أطباء معاوية كما هو معروف من النصارى.

❑ الأطباء من غير المسلمين في العهد الأموي:

أطباء معاوية بن أبـي سفيان:

كان لمعاوية بن أبـي سفيان طبيبان وكلاهما كان نصرانياً. فأما الأول فهو ابن أثال وكان خبيراً بالسموم والأدوية المركبة والمفردة وقواها. وقد اصطفاه معاوية لنفسه لمّا ملك وجعله من خاصته. ومع هذا لم يكن يتداوى عنده بل عند أبـي الحكم الدمشقي.

❑ موت الحسن بن علي رضي الله عنه مسموماً:

وقد ذكر أهل التاريخ أن الحسن بن علي رضي الله عنهما قد مات مسموماً. وذكر ذلك الإمام ابن تيمية في الفتاوى والذهبـي في سير أعلام النبلاء حيث ذكر أن معاوية كان قد تلطف لبعض خدامه أن يسقى الحسن السم[1]. وذكر أبو عوانة بسنده أن جعدة بنت الأشعث بن قيس زوجة الحسن هي التي سقته السم باتفاق مع معاوية[2]. وقد اتُّهم معاوية بدس السم له

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبـي ج ٢/ ٢٧٤ الطبعة السابعة، مؤسسة الرسالة، بيروت.

(٢) جاء في أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير (الجزري) ج ٢/ ١٥ وفي سير أعلام النبلاء للذهبـي ج ٢/ ٢٧٤، أن زوجة الحسن بن علي رضي الله عنه وهي جعدة بنت الأشعث بن قيس سقته السم. فكان توضع تحته طست وترفع أخرى نحو أربعين يوماً (أي أصيب الحسن =

بواسطة زوجة الحسن جعدة بنت الأشعث بن قيس. وكـان الـذي يضـع لـه السم طبيبه المختص بـأنـواع السمـوم ابن أثال.

وأظهر معاوية الشماتة بموت الحسن فقال قثم بن العباس:

أصبـــح اليــوم ابـــن هنـــد شـــامتـــاً
ظـــاهـــر النخـــوة إن مـــات حســـنْ
رحمـــــــة الله عليـــــــه إنـــــــه
طـــالمـــا أشجـــى ابـــن هنـــد وأذنْ
ولقـــــد كـــــان عليـــــه عمـــــره
عـــدل رضـــوى وثبيـــر وحضـــن[1]

= بالإسهـال الشديـد وذلك عادة مـا يكون من الزرنيخ الذي كان يستخدم على نطاق واسع في السم). وقال الحسن للحسين رضي الله عنهما: يا أخي سُقيت السم ثلاث مرات لم أسق مثل هذه. إني لأضع كبدي. فلما سأله الحسين عمّن سمّه؟ قال الحسن: أتريد أن تقاتلهم؟ وقد آلى الحسن على نفسه أن يصلح بين الفئتين ويكـلهم إلى الله. وأوصـى الحسين بـأن يـدفنه مـع جـده المصطفى إلاّ إذا أبـى بنو أمية فليدفنه في البقيع وأمره أن لا يقاتل. فرضيَ الله عن الحسن الشهيد والحسين الشهيد وآل بيت رسول الله أجمعين.

(١) رضوى جبل بالقرب من المدينة وينبع، وثبير جبل بظاهر مكة، وحضَن من جبال سلمى بنجد والمقصود أن الحسن رضوان الله عليه كان ثقيلاً على معاوية حتى جعله عدل رضوى وثبير وحضن.

وإذا أقبـــــل حيّـــا رافعـــا
صـــوتـــه والصـــدر يغلـــي بـــالاحـــن[1]
فـــارتـــع اليـــوم ابـــن هنـــد آمنـــاً
إنمـــا يُغمـــص بـــالعيـــر السمـــنْ[2]

وذكر ابن أبي أصيبعة[3] أن ابن عباس دخل على معاوية فقال له: هل أتاك موت الحسن بن علي قال: لا. قال معاوية: فإنه قد أتانا موته. فاسترجع ابن عباس ثم قال: «إن موته يا معاوية لا يزيد في عمرك ولا يدخل عمله معك في قبرك. وقد بُلينا بأعظم: فقدنا منه جده رسول الله ﷺ، فجبر الله مصايبنا ولم يهلكنا بعده». فقال له معاوية: اقعد يا ابن عباس فقال: ما هذا بيوم قعود. وأظهر معاوية الشماتة بموته.

☐ موت عبد الرحمن بن خالد بن الوليد مسموماً[4]:

قال: ومات في أيام معاوية جماعة كثيرة من أكابر الناس

---

(١) الأحن: الأحقاد الدفينة.

(٢) يُغمص: يُكره ويحقر. والشاعر يشير إلى سمن معاوية فقد كان أكولاً لا يشبع بسبب دعوة النبي ﷺ حيث قال: لا أشبع الله له بطناً والحديث صحيح قد رواه البخاري ومسلم.

(٣) ابن أبي أصيبعة في عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص ١٧١ ــ ١٧٥.

(٤) نفس المرجع السابق.

والأمراء من المسلمين بالسم ومن ذلك أن معاوية لما أراد أن يظهر العقد ليزيد قال لأهل الشام: إن أمير المؤمنين قد كبرت سِنَّه ورقَّ جلده، ودقَّ عظمه، واقترب أجله يريد أن يستخلف عليكم فمن ترون؟ فقالوا: عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، فسكت (معاوية) وأضمرها (في نفسه). ودسَّ ابن أثال النصراني الطبيب إليه فسقاه سُمّاً فمات. وبلغ (الخبر) ابن أخيه خالد بن المهاجر بن خالد بن الوليد وهو بمكة، فلما قتل عمَّه عبد الرحمن مرَّ به عروة بن الزبير فقال له: يا خالد!! لابن أثال نقى (نخاع العظام) أوصال عمك بالشام، وأنت بمكة مسبل إزارك تجره وتخطر فيه متخايلاً؟!! فحمى خالد ودعى مولى له يقال له نافع فأعلمه الخبر، وقال: لا بد من قتل ابن أثال. فذهب خالد إلى دمشق وقتل ابن أثال بمعاونة مولاه نافع، وفرَّ خالد فبحث عنه معاوية حتى جاء به فقال له معاوية: قتلت طبيبي فقال خالد: قتلت المأمور وبقي الآمر. يقصد معاوية الذي أمر بقتل عبد الرحمن. فقال معاوية: «عليك لعنة الله. أما والله لو كان تشهَّد مرة واحدة لقتلتك به. أمعك نافع؟ قال: لا. قال معاوية: بلى والله ما اجترأت إلا به». فأمر بضرب نافع مائة سوط وحبس خالداً وألزم بني مخزوم دية ابن أثال اثني عشر ألف درهم، أخذ منها معاوية لنفسه ستة آلاف.

وقال المحدث الفقيه اللغوي أبو عبيد بن سلام الهروي في

كتابه «الأمثال»: إن معاوية بن أبـي سفيان كان خاف أن يميل الناس إلى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، فاشتكى عبد الرحمن فسقاه الطبيب شربة عسل فيها سمٌّ فأحرقته فعند ذلك قال معاوية: «لا جدَّ إلا من أقعص عنك من تكره» والمقصود أن لا حظَّ ولا نصيب إلا من أزال عنك من تكره وألقاه في العطب والردى[1].

❑ دس السم للأشتر النخعي ووفاته بذلك السم[2]:

وقال معاوية حين بلغه موت الأشتر النخعي وهو من أشد أنصار عليّ ومن الأبطال الصناديد في الحرب. وكان معاوية قد دسَّ عليه من سقاه عسلاً مسموماً فمات. قال: «إن لله جنوداً من العسل»[3]. وكان معاوية قد اتفق مع دهقان العريش أن يقتل الأشتر عند مروره بالعريش ليتولى أمر مصر بعد وفاة محمد بن أبـي بكر الذي كان والياً عليها من قبل أمير المؤمنين علي بن

---

(١) نفس المرجع السابق.

(٢) ذكر الإمام الذهبـي في سير أعلام النبلاء الأشتر مالك بن الحارث النخعي وشجاعته الأسطورية ووقوفه مع الإمام علي في كل المواقف وذكر أن علياً رضي الله عنه قال عند موته: على مثله فلتبك البواكي. وأن عمرو بن العاص هو القائل: «إن لله جنوداً من العسل» والمشهور أن القائل هو معاوية.

(٣) نفس المرجع السابق.

أبي طالب كرم الله وجهه. وقال معاوية للدهقان: إن قتلت الأشتر فلك خراج عشرين سنة. فاجتهد الدهقان في استضافة الأشتر عند مروره وسقاه عسلاً مسموماً فمات. وكان الذي وضع السم في العسل هو ابن أثال طبيب معاوية بأمر منه.

وأما الطبيب الآخر الذي كان يتداوى عنده معاوية فهو **أبو الحكم الدمشقي** وكان عالماً بأنواع العلاج والأدوية وعُمِّرَ طويلاً حتى جاوز المائة. وقد استطبَّه معاوية ثم يزيد بن معاوية ثم عبد الملك بن مروان ومات في عهد الوليد بن عبد الملك.

* **الحكم الدمشقي**: وهو ابن أبي الحكم السابق ذكره. وكان طبيباً لخلفاء بني مروان وطال عمره حتى بلغ مائة وخمسة سنة لم يتغيّر عقله ولم ينقص علمه.

* **عيسى بن الحكم**: وهو ابن الحكم وحفيد أبي الحكم. وقد اشتهر باسم مسيح. وله كناش كبير في الطب وكتاب في منافع الحيوان. وعاش حتى عهد الرشيد العباسي. وكان طبيباً لمن بقي من دولة بني مروان حتى انتهت دولتهم ثم طبَّب لبني العباس. وداوى أم ولد الرشيد وتوفى سنة **٢٢٥**هـ.

* **تياذوق**: كان طبيباً خاصاً للحجاج بن يوسف الثقفي، وكان الحجاج يقرّبه ويعتمد عليه في الطب. ومن كلامه للحجاج: لا تأكلنَّ حتى تجوع ولا تتكارهنَّ على الجماع ولا تحبس البول وخذ من الحمام قبل أن يأخذ منك.

وقال له: أربعة تهدم العمر وربما قتلن: دخول الحمّام على البطنة، والمجامعة على الامتلاء، وأكل القديد الجاف، وشرب الماء البارد على الريق. وما مجامعة العجوز منهن ببعيد».

وتروى عنه كلمات من هذا القبيل كثيرة ذكرها ابن أبـي أصيبعة في طبقات الأطباء.

* **عبد الملك بن أبجر الكناني**: كان نصرانياً مقيماً في الإسكندرية، وكان طبيباً لعمر بن عبد العزيز عندما كان والده والياً على مصر وأصبح من خاصته والمقربين إليه. وعرض عليه عمر بن عبد العزيز الإسلام فأسلم وحَسُنَ إسلامه ووضع كتباً في الـرد علـى افتـراءات اليهـود والنصـارى وأبـان زيـف نحلتهـم وتحريفهم وأوضح ما جاء في كتبهم من وصف النبـي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

ولما وصلت الخلافة إلى عمر بن عبد العزيز رضوان الله عليه استدعى عبد الملك وصار إليه تدريس الطب في أنطاكية وحرّان.

روى الأعمش عن عبد الملك بن أبجر أنه قال: دع الدواء ما احتمل بدنك الداء. وروى سفيان عنه أنه قال: المعدة حوض الجسد والعروق تشرع فيه، فما ورد فيها بصحة صدر بصحة،

وما ورد فيها بسقم صدر بسقم. وقد أخرجه البيهقي في شعب الإيمان عن سفيان بن أبجر. وهو ليس بحديث. ويروى مرفوعاً عن طريق الزهري عن أبـي سلمة عن أبـي هريرة. وسنده ضعيف قاله ابن حجر في التقريب. وذكر في «الميزان» أن في سنده إبراهيم بن جريج الرهاوي وكان طبيباً فجعل لهذا الحديث إسناداً. وإبراهيم بن جريج هذا متروك[1].

* فرات بن شحناثا: طبيب يهودي من أبرز تلاميذ تياذوق. خدم الحجاج بن يوسف الثقفي بالطب وعاش حتى خلافة أبـي جعفر المنصور. وعمل طبيباً لعيسى بن موسى العباسي. وكان عيسى يعتمد عليه في الطب وخلافه وجعله محل ثقته ومشورته. وكان عيسى بن موسى العباسي والياً على الكوفة للمنصور، وكان ولياً للعهد، ولكن المنصور استطاع إبعاده وجعل الولاية لابنه المهدي.

* ماسرجويه البصري: يهودي من أصل فارسي، درس الطب في جنديسابور. استوطن البصرة أيام الخلفاء من بني مروان. وترجم كناش أهرن بن أعين للعربية، وطال عمره حتى أدرك أيام بني العباس.

---

(١) انظر لسان الميزان ج ١/ ٤٣. والميزان ج ١/ ٢٥ واللآلىء ج ٢/ ٢٠٨ وتنزيه الشريعة ج ٢/ ٢٤٢. والمنهج السوي والمنهل الروي في الطب النبوي للسيوطي تحقيق د. حسن مقبول الأهدل ص ١٥٣.

الأطباء في العهد العباسي
من أهل الذمة

اشتهرت جند يسابور التي كانت مركزاً من مراكز الطب حيث اجتمع فيها السريان من النساطرة الفارين من عنت الدولة الرومانية، إذ كانوا يختلفون عنها في مذهبهم المسيحي. وقد اعتبرت الكنيسة الرومانية نسطوريوس الأنطاكي خارجاً عن الدين. وهرب أتباعه إلى الدولة الساسانية الفارسية وتمركزوا في جند يسابور واشتغلوا بالطب. . وكانوا على علم باللغات اليونانية واللاتينية والفارسية والسريانية والعربية. واستمرت هذه المدرسة الطبية من القرن الخامس الميلادي (قبل الإسلام) إلى القرن الثاني عشر الميلادي (بعد الإسلام). وكان من أشهر تلامذة هذه المدرسة الطبية الحارث بن كلدة الثقفي في الجاهلية وظهور الإسلام. . كما ظهر منها العديد من الأسر الطبية النسطورية وأشهرها عائلتا بختيشوع وماسوية، وكلاهما نصرانيتان.

❑ عائلة بختيشوع:

ظهرت هذه العائلة في مطلع الخلافة العباسية واشتهرت بالطب وكانت لها صولة وجولة وحظوة كبيرة عند الخلفاء من بني العباس، واستمروا على ذلك لمدة قرنين من الزمان. وبخت تعني عبد، ويشوع أي يسوع والمقصود بذلك عبد المسيح أو عبد يسوع. وأول هذه العائلة في الظهور هو **جورجيوس بن جبرائيل بن بختيشوع** الذي استدعاه المنصور من جنديسابور حيث كان رئيساً لمستشفاها لمداواته من مرض أصاب معدته سنة ١٤٨هـ/ ٧٦٥م. وأعجب به المنصور فبقي عنده طبيباً خاصاً له ولأسرته وله الحظوة والمكانة الكبرى. وقال له المنصور ذات مرة: من يخدمك ها هنا؟ فقال: تلامذتي. فقال له: سمعت أنه ليست لك امرأة. فقال جورجيوس: لي زوجة كبيرة ضعيفة ولا تقدر تنتقل إليّ من موضعها.

فأرسل له الخليفة ثلاث جوار روميات حسان مع ثلاثة آلاف دينار، فلما رأى ذلك جورجيوس ردّ الجواري فلما اتصل الخبر بالمنصور قال له: لم رددت الجواري؟ قال: يا أمير المؤمنين هؤلاء لا يكونون معي في بيت واحد لأنا معشر النصارى لا نتزوج بأكثر من واحدة. وما دامت المرأة في الحياة فلا نأخذ غيرها. فحسُنَ موقعه من الخليفة وأمر من وقته بإدخاله على نساءِه وحظاياه.

وكان الخليفة عندما مرض جورجس يزوره ماشياً ويعظّم أمره وقال له: «يا جورجس اتق الله وأسلم، وأنا أضمن لك الجنة» فقال جورجس: «أنا على دين آبائي أموت. وحيث كان آبائي أحب أن أكون إما في الجنة أو في جهنم» فضحك الخليفة وأذن له بالسفر إلى جند يسابور وأعطاه عشرة آلاف دينار(١).

بختيشوع بن جورجس: خلف والده جورجس في رياسة الطب في جند يسابور واستقدمه هارون الرشيد فصار طبيبه وبلغ لديه الحظوة العظمى والمكانة السامقة وامتحنه الرشيد ذات يوم فأحضر له قارورة (بول) دابه فلما رآه بختيشوع قال: ليس هذا بول إنسان. فقال له الطبيب أبو قريش: كذبت هذا ماء حظية الخليفة. فقال الخليفة: من أين علمت أنه ليس بول إنسان. قال بختيشوع: لأنه ليس له قوام بول الناس ولا لونه ولا ريحه، فقال الخليفة: ما ترى نطعم صاحب هذا الماء؟ فقال: شعيراً جيّداً. فضحك الرشيد ضحكاً شديداً. وخلع عليه خلعة جليلة ووهب له مالاً وافراً وجعله رئيس الأطباء لديه في قصره.

وتولى بعده جبرائيل بن بختيشوع رئاسة الطب في جند يسابور. والتحق بخدمة الرشيد حتى صار لديه كبير الأطباء

---

(١) لاحظ أن المنصور العباسي كان يسمى أبا الدوانيق لشدة بخله وحرصه ومع هذا كان يعطي بختيشوع عشرة آلاف دينار ذهباً. (الدوانيق هي الملاليم أو العملة النحاسية الرخيصة التي لا قيمة لها).

بعد أن كبر والده. ثم غضب عليه الرشيد فأقصاه فلما تولى المأمون صار طبيبه الخاص ومن المقربين لديه. وكان أيضاً طبيباً لجعفر البرمكي من قبل وكانت لديه المكانة والحظوة.

وجمع جبرائيل بن بختيشوع ثروة طائلة جداً من الرشيد والبرامكة ثم من المأمون وكانت له المكانة العظيمة عند الرشيد بعد أن احتال على مداواة حظية من حظاياه حتى أن الرشيد كان يقول: «من كانت له حاجة إليّ فليخاطب بها جبرائيل لأني سأفعل كل ما يسألني فيه ويطلبه مني». فكان الوزراء والقواد ورجال الدولة يقصدون جبرائيل في مطالبهم من الرشيد ويجزلون له العطاء.

وهكذا كان هؤلاء الأطباء من النصارى يتحكمون في دولة الإسلام بسبب بلاهة الخلفاء وحكمهم الاستبدادي الأوتوقراطي.

وعندما مرض الرشيد في آخر أيامه بطوس (تسمى مشهد الآن وهي في شرق إيران وفيها قبر الإمام علي الرضا والإمام الغزالي) داواه جبرائيل فلم يفلح فغضب عليه الرشيد. وزاد في غضبه دخول أسقف نصراني عليه يدّعي الطب فقال له: «الذي عالجك لم يكن يفهم في الطب»، فازداد حنق الرشيد على جبرائيل حتى همَّ بقتله لولا أن تدخل وزيره الفضل بن الربيع وكان يحب جبرائيل فاستبقاه من الرشيد.

ومرض المأمون بعد أن دخل بغداد سنة ٢٠٥هـ بعد أن

ظفر بأخيه الأمين وعالجه الأطباء ففشلوا فطلبوا جبرائيل فداواه في ثلاثة أيام فسرَّ بذلك المأمون وأمر له بألف ألف (مليون) درهم فضة وألف كُرّ من الحنطة (الكر = ٦٠ قفيزاً = ١١٩,٥ كيلو جراما) ورد عليه سائر ما قبض عليه من الأملاك وكنّاه بأبـي عيسى وصار كل من يتقلد عملاً لا يخرج إلى عمله إلا بعد أن يلقى جبرائيل ويكرمه.

وهكذا جمع جبرائيل بن بختيشوع الملايين من الدراهم والضياع والأراضي والقصور ما لا يخطر ببال. وكان موكبه يشبه موكب الخليفة من الأبهة والعظمة. وعند موته ترك دوراً وبساتين بسبعين مليون درهم وأراضي زراعية بـ ١٢ مليون درهم وآلات وصناعات بـ ٨ ملايين درهم. وجواهر وذخائر بـ ٥٠ مليون درهم عدا ما تركه من عشرات الملايين من الدراهم.

فأي سفه بلغ بهؤلاء الخلفاء والكبراء في الدولة الإسلامية حتى يعطوا هذا الطبيب كل هذه الأموال والضياع والمكانة العظيمة حتى إن الرشيد قبل أن يغضب على جبرائيل قال له بعد أن عاد من الحج: دعوت الله لك والله في الموقف دعاء كثيراً. ثم التفت إلى بني هاشم فقال: عسى أنكرتم قولي هذا؟ فقالوا: يا سيدنا ذمي!! فقال الرشيد: نعم، ولكن صلاح بدني وقوامه به، وصلاح المسلمين بـي، فصلاحهم بصلاحه وبقائه (أي صلاح وبقاء جبرائيل بن بختيشوع)!! فقالوا: صدقت يا أمير

المؤمنين!! والحوادث من هذا الباب كثيرة توضح مدى سفه هؤلاء الخلفاء واستبدادهم وأن الكون لا يصلح إلا بهم فإذا صلحت معدة أحدهم بسبب بختيشوع أو أضرابه فإن الكون كله في صلاح وإذا فسدت فسد الكون كله!!

ثم لما مات جبرائيل ورث مكانته ابنه بختيشوع بن جبرائيل وصار طبيباً خاصاً لدى المأمون حتى وفاته. ثم صار طبيباً خاصاً للمعتصم ثم المتوكل وفي زمنه بلغ أوج شأنه حتى قال عنه ابن أصيبعة في عيون الأنباء في طبقات الأطباء: «بلغ من عظم المنزلة والحال وكثرة المال ما لم يبغه أحد من سائر الأطباء الذين كانوا في عصره. وكان يضاهي الخليفة المتوكل في اللباس والفرش».

وكان موكبه لا يقل عن موكب الخليفة نفسه في البهاء وكثرة الحشم والخدم والراكبين والماشين بين يديه.

ثم ظهر من آل بختيشوع جبرائيل بن عبيد الله بن بختيشوع وكان مناظراً لليهود منافحاً عن عقيدته النصرانية كما اشتغل بالطب. وكان أثيراً عند ملك الديلم خسروشاه، وعند أمير الموصل حسام الدولة، وعند أمير ميافارقين. وكلهم كان يبالغ في إكرامه. ثم تولى ابنه عبيد الله بن جبرائيل الطب وأقام بميافارقين وكان معاصراً لابن بطلان ويجتمع به ويأنس إليه. وله كتب كثيرة في الطب.

ثم ظهر من هذه الأسرة يوحنا بن بختيشوع وكان طبيباً للخليفة العباسي الموفق بالله (طلحة) بن جعفر المتوكل. وكان الموفق يحبه كثيراً ويدعوه بمفرّج كربي، وكان الموفق إذا جلس للشراب (وكان الخلفاء لا يفارقون الخمر إلا نادراً في مجالسهم الخاصة) يجلس يوحنا بن بختيشوع عن يمينه ويجعله من أخص ندمانه. وقال مرة لوزيره صاعد عندما اشتكاه يوحنا إلى الخليفة الموفق: «أنت تعلم يا صاعد أنه ليس لي في هذه الدنيا من أستريح إليه، وأعلمَ ما في سويداء قلبي، وهو مفرّج كربي غير يوحنا وأنت دائب الحيلة على تنغيص عيشي بشغل قلبه عن خدمته». فذهب الوزير صاعد من فوره واسترضى يوحنا وكتب له جميع الضياع التي يدَّعيها.

ثم تولى بختيشوع بن يوحنا مكانة والده واختص بخدمة المقتدر بالله العباسي وكان له الأنعام الكثير والإقطاعات من الضياع. ثم صار طبيباً خاصاً للراضي ابن المقتدر. وكانت لديه الحظوة الكاملة.

وهكذا نجد عائلة بختيشوع تسيطر على مقادير الأمور في بغداد عن طريق سيطرتها على الخليفة وحظاياه والتطبيب لهم حتى أن الخليفة يعتبر أنه لا يجد في الدنيا من يستريح إليه ويفرج كربه غير يوحنا أو جبرائيل أو بختيشوع. . . إلخ.

❑ عائلة ماسوية:

والعائلة الثانية المشهورة في مجال الطب من السريان النصارى التي كانت لها الحظوة عند الخلفاء هي عائلة ماسوية وإن لم تبلغ شأو أسرة بختيشوع ومؤسس أسرة ماسوية الطبية هو ماسوية الخوري من خوزستان وكان أمياً لا يقرأ ولا يكتب بأي لغة. ولكنه التحق بمستشفى جنديسابور يدقُّ العقاقير في صيدليتها برعاية جبريل بن بختيشوع. وتعلم الطب هناك خلال ثلاثين عاماً من العمل.

واشتكى خادم الفضل بن الربيع من وجع في عينيه فداواه جبرائيل بن بختيشوع فلم ينتفع بشيء فذهب إلى ماسويه فداواة فبرأ. ولم يمض إلا أيام يسيرة حتى اشتكى الفضل بن الربيع عينيه فداواه جبرائيل فلم يفلح فدعا له الخادم ماسوية فداواه فأحبه الفضل وجعله طبيبه.

وما مضت أيام إلا وتكررت القصة فرمدت عين الرشيد وفشل جبرائيل في مداواته فأسرع ماسوية بمداواته بعد أن أدخله الفضل بن الربيع عليه. فما مضت أيام إلا وماسوية ينافس جبرائيل في المكانة وكان له من الرشيد عشرة آلاف درهم شهرياً ومعونة مائة ألف درهم سوى الهبات والعطايا.

وظهر يوحنا بن ماسويه وتعلم الطب من أبيه ومن

جبرائيل بن بختيشوع. وكان حظياً عند الخلفاء. وكان أثيراً عند الواثق العباسي. فشرب يوماً في مجلس الواثق شراباً غير صافٍ ولا لذيذ (وهذا من عادة السقاة إذا قصَّر في برِّهم والإحسان إليهم). فلما شرب يوحنا القدح الأول قال: يا أمير المؤمنين، أما المذاقات فقد عرفتها واعتدتها. ومذاقة هذا الشراب خارجة عن طبع المذاقات كلها. فغضب الواثق وقال: «يسقون أطبائي وفي مجلسي مثل هذا الشراب» فأمر ليوحنا في الحال ترضية بمائة ألف درهم، وأمر الخادم بأن يحمل إليه المال في الحال. فلما كان العصر سأل الخادم: هل حملتم المال إلى يوحنا؟ فقيل: لم يحمل بعد، فقال: احمل إليه مائتا ألف، فلما صلّوا العشاء تبيّن للواثق أنهم لم يحملوا المال بعد، فأمر بحمل ثلاثمائة ألف درهم الساعة. فقال الخادم لخازن بيت المال: احملوا مال يوحنا الآن وإلا لم يبق في بيت المال شيء. فحمل إليه ثلاثمائة ألف درهم فضة ترضيه لكأس من الخمر رديئة!!

واشتهر يوحنا بترجمة الكتب اليونانية وتولى رئاسة بيت الحكمة للمأمون سنة ٢٢٥هـ = ٨٣٠. وخدم يوحنا الرشيد والأمين والمأمون والمعتصم والواثق والمتوكل. وكان مجلسه يضم الأطباء والأدباء والفلاسفة.

وكان يوحنا بن ماسويه يرى زيف ما يفعله القساوسة ولم يكن يعتقد ما يقومون به من قداس وغيره. وقد مرض يوماً

حتى يئس منه أهله فانتبه والقساوسة حوله يقرأون فقال لهم: يا أولاد الفسقة ما تصنعون في بيتي؟ فقالوا: كنا ندعو ربنا بالتفضل عليك بالعافية. فقال يوحنا: قُرص ورد أفضل من صلوات جميع أهل النصرانية منذ كانت إلى يوم القيامة.. اخرجوا من منزلي!!

وجاءه قسيس الكنيسة يشكو معدته فقال له يوحنا: استعمل جوارشن الخوزبي. فقال: قد فعلت. فقال له يوحنا: فاستعمل السقمونيا. قال: قد أكلت منه أرطالاً، فذكر له عدة أدوية والقسيس يقول قد فعلت، فغضب يوحنا وقال له: «إن أردت أن تبرأ فأسلم، فإن الإسلام يصلح المعدة».

وكان يوحنا يتخذ الجواري وهو محرّم عندهم في دينهم وعاتبوه فقال: «إن رئيس الأساقفة (الجاثليق) له عشرين ثوباً، والديانة لا تسمح له إلا بثوب واحد فليلزم رئيس الأساقفة دينه حتى نلزمه نحن معه».

وكان ليوحنا ابن في غاية البلادة حتى ضاق به ذرعاً وأراد أن يشرّحه ليعرف سبب بلادته ويريح الناس منه!! فقال: «لولا كثرة فضول السلطان ودخوله فيما لا يعنيه لشرّحت ابني هذا حيّاً، مثل ما كان جالينوس يشرّح القرود والناس، فكنت أعرف بتشريحه الأسباب التي كانت لها بلادته، وأريح الناس من خلقته، وأكسب أهلها بما أضع في كتابي في صفة تركيب بدنه

ومجاري عروقه وأوراده وعصبه علماً، ولكن السلطان يمنع من ذلك!!».

وأراد المتوكل أن يمتحنه فأتى له ببول غلام، فلما نظر فيه يوحنا قال: «هذا بول بغل لا محالة»، فأحضر المتوكل الغلام وقال له: «هذا بول الغلام». فقال يوحنا للغلام: إيش أكلت البارحة، فقال: خبز شعير وماء قراح، فصاح يوحنا: هذا والله طعام حماري اليوم!

وليوحنا مجموعة من الكتب الطبية غير تلك التي قام بالإشراف على ترجمتها.

وظهر ميخائيل بن ماسوية بالطب حتى صار طبيباً للمأمون ثم المعتصم. ولكنه لم يبلغ درجة أخيه يوحنا.

ومن الأطباء النصارى الذين اشتهروا في الدولة العباسية عدد غفير غير عائلة بختيشوع وماسوية نذكر منهم من خدم الخلفاء وحظي لديهم بالمكانة كالتالي:

❑ خصيب:

نصراني من أهل البصرة داوى محمد بن أبي العباس السفاح. وسقاه شربة ذات يوم فمات منها فحبسوا خصيباً حتى مات وذلك سنة ١٥٠هـ.

❑ عيسى المعروف بأبـي قريش النصراني:

كان صيدلانياً يجلس على موضع قريب من قصر الخليفة فوجهت له الخيزران (جارية المهدي ثم أعتقها وتزوجها وكانت لها سطوة في الدولة) بمائها (بولها) فلما رآه قال: هذا ماء امرأة حبلى بغلام. وما لبثت الخيزران أن تبيّنت حملها فولدت موسى الهادي وأعطته مائة ثوب وفرس مسرجة وأموالاً كثيرة.

ثم امتحنه المهدي فوجه إليه ماء الخيزران وهي حامل فقال عيسى: هذا ماء ابنتي أم موسى (يقصد الخيزران)، وهي حبلى بغلام آخر، فولدت هارون الرشيد!! وعظمت مكانته عند الخيزران والمهدي، حتى أدخله المهدي على أهله وحرمه.

وفي عهد الرشيد أصيب عيسى بن جعفر بن المنصور العباسي بالسمنة المفرطة، وحاول الأطباء علاجه ففشلوا، فكلَّم الرشيدُ الطبيبَ عيسى، وطلب منه أن يحتال حتى يداويه، فدخل عليه أبو قريش، وقال له بعد أن جسَّ نبضه: «أوصي والوصية مباركة. وهي غير مقدمة ولا مؤخرة» وأوهمه أنه يموت في خلال أربعين يوماً. فخاف عيسى بن جعفر خوفاً شديداً، وأصابه الغم فلم يأكل، وانزاح عن بدنه الشحم الكثيف، فلما كان ليلة الأربعين ركب إليه الرشيد ومعه الطبيب أبو قريش فلما دخلوا قال الأمير: أطلق لي يا أمير المؤمنين قتل هذا الكافر فقد قتلني وقد نقص من بدني كذا وكذا، فسجد الرشيد شكراً لله، وأمر لأبـي

قريش بعشرة آلاف دينار ذهباً، وطلب من ابن عمه أن يعطيه مثلها، فانصرف أبو قريش بعشرين ألف دينار.

❑ **العباديون (العَبادي: بفتح العين وتخفيف الباء):**

هم قوم من النصارى من العرب بالحيرة ظهروا في العهد العباسي الأول. وتولوا مهمة ترجمة الكتب من اليونانية إلى العربية أيام المأمون وأشهر هؤلاء حنين بن إسحاق العبادي أحد أشهر المترجمين، وتولى رياسة بيت الحكمة في بغداد.

وكان حنين بن إسحاق لسناً بارعاً شاعراً، وكان شيخه في العربية الخليل بن أحمد الفراهيدي مكتشف علم العروض. وانتقل حنين من البصرة إلى بغداد وتعلم الطب من يوحنا بن ماسويه بالإضافة إلى ما تعلمه في صغره من والده إسحاق الذي اشتغل بالصيدلة.. وغضب يوحنا بن مايوسة على حنين لكثرة سؤاله فانتقل حنين إلى جبرائيل بن بختيشوع وكان يترجم له الكتب اليونانية الطبية. وقد أعجب به جبرائيل أيما إعجاب لإجادته اللغات الثلاث إجادة تامة وهي اليونانية والسريانية والعربية.

وعرف يوحنا بن ماسوية مقدرة حنين في الترجمة بعد أن رأى فصولاً ترجمها فصالحه، ولازمه حنين مرة أخرى وتتلمذ له، واشتغل بصناعة الطب، وترجم لأستاذه العديد من كتب طب اليونان.

وسافر حنين بتشجيع من المأمون إلى أقصى بلاد الروم طلباً للكتب اليونانية. . وعظمت مكانته عند المأمون وخاصة بعد أن امتحنه امتحاناً عسيراً حيث طلب منه أن يصنع دواء ساماً ليقتل به عدواً سراً، فرفض ذلك حنين وبقي محبوساً وهو لا يشتغل إلا بالترجمة والتأليف. وزاد مقداره عند المأمون لذلك. وكان المأمون يعطي حنيناً من الذهب وزن ما ينقله من الكتب إلى العربية، مثلاً بمثل. . ولذا كان حنين يأمر كتبته بتوسيع ما بين السطور والكتابة بخط واسع واستخدام الكاغد الثخين حتى يزداد الوزن.

وكان حنين ماهراً في طب العيون وله تصانيف فيها، كما لهُ الكتب العديدة التي وضع أكثرها على هيئة سؤال وجواب لتسهل قراءَتها والانتفاع بها.

وكان حنين يواجه كثيراً من المشاكل بسبب حسّاده من النصارى حتى قال: «فأما هؤلاء الأطباء النصارى الذين أكثرهم تعلموا على يدي، نشأوا قدامي، هم الذين يرومون سفك دمي». وكان حنين رغم ذلك يُحسن إليهم.

وتقدم بختيشوع بن جبرائيل ذات يوم إلى الخليفة المتوكل ومعه أيقونه (تمثال من التماثيل يعبده النصارى) للسيدة مريم وفي حجرها كما يزعمون المسيح وحولهم الملائكة، ووضعها بين يدي المتوكل فاستحسنها المتوكل!!؟ وجعل بختيشوع يقبّلها

مراراً، فقال له المتوكل: لم تقبّلها؟ فقال له: يا مولانا إذا لم أقبل صورة سيد العالمين فمن أقبّل؟ قال المتوكل: وكل النصارى هكذا يفعلون؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين إلا رجلاً من النصاري في خدمتك يتهاون بها ويبصق عليها، وهو زنديق ملحد، لا يقرّ بالوحدانية ولا يعرف آخرة فقال المتوكل: من هو هذا. قال بختيشوع: إنه حنين المترجم.. فأمر الخليفة بإحضاره فوراً. فقال بختيشوع: أحب أن يؤخر مولاي أمير المؤمنين طلبه إلى أن أخرج، وأقيم ساعة، ثم تأمر بإحضاره. فقال المتوكل: إني أفعل.

واحتال بختيشوع فذهب إلى حنين وقال له إن المتوكل قد أعجب بالأيقونة وإن نحن تركناها عنده تولع بنا في كل وقت وقال: هذا ربكم وأمه مصورين. وقد احتقرتُها وبصقتُ عليها عنده فسُرَّ بذلك.. والصواب إن دعاك أمير المؤمنين أن تفعل مثلما فعلت. فلما مَثُلَ حنين فعل مثلما قال له بختيشوع فغضب المتوكل، وطلب رئيس الأساقفة في بغداد وسأله ما حكم من فعل ذلك بالأيقونة من النصارى فقال يحبس ويجلد مائة سوط، فجلد حنين مائة سوط واعتُقل وصودرت أمواله.

ولم يكتف أعداء حنين من النصارى بذلك بل سعوا إلى أن يقتله المتوكل فلما همَّ بذلك زعموا أنه رأى المسيح عليه السلام وهو يقول له: «اعف عن حنين واغفر ذنبه، فقد غفر الله له.

وأقبل ما يشير به عليك تبرأ من علتك» وكان المتوكل عليلاً. فأمر المتوكل بإحضار حنين واعتذر له وأعطاه عشرين ألف درهم ورد عليه أملاكه وضياعه، وأعطاه فوقها ثلاثاً من دور الخليفة بأثاثها ورياشها وأعطاه من الخلع والأموال ما لا يخطر ببال.. وعرض عليه أن يقتل من دسّ عليه وأشار بقتله فأبى حنين وعفى عنهم.

ولحنين مؤلفات تربو على المائة منها كتاب المسائل المشهور وهو المدخل لعلم الطب. وأشهر كتبه عشر مقالات في العين.

وظهر بعد ذلك ابنه إسحاق وابن أخته حبيش الأعسم وكلاهما عمل معه في الترجمة ثم في الطب، ولم يبلغا مكانته.

❑ تلاميذ حنين:

ومن تلاميذ حنين عيسى بن علي وعيسى بن يحيى بن إبراهيم، وكلاهما ظهر بالطب.

❑ الصابئة:

فرقة من اليهود وقيل النصارى. وكلمة صابئة الآرامية تدل على التطهر والتعميد. ويؤمنون بتأثير الكواكب ويجعلونها وسائط بين الله والخلق. وقد ورد ذكرهم في القرآن الكريم في ثلاث آيات:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾(٢).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾(٣).

وكان العرب يطلقون لفظ الصابيء قبل الإسلام على كل من ترك دينه، ويقولون صبأ محمد أي رسول الله ﷺ. ولهذا قال بعض العلماء الصابئة قوم ليسوا على دين اليهود ولا النصارى ولا المجوس ولا المشركين وإنما هم قوم يؤمنون بالله وحده وهم على دين الفطرة.

وقال إسحاق بن راهوية وأبو العالية والربيع بن أنس والسدي والضحاك وأبو حنيفة النعمان: الصابئة فرقة من أهل

---

(١) سورة المائدة: الآية ٦٩.

(٢) سورة البقرة: الآية ٦٢.

(٣) سورة الحج: الآية ١٧.

الكتاب يقرأون الزبور ولا بأس بذبائحهم ومناكحتهم (قول أبي حنيفة وإسحاق بن راهوية).

ويقول الدكتور حسن ظاظا[1]: «ولهؤلاء الصابئة دين خاص بهم تعتبرهم المسيحية واليهودية من أجلها كفاراً، بينما يلحقهم الإسلام بأصحاب الديانات السماوية وأهل الذمة».

وهم يؤمنون بموسى عليه السلام وبالأسفار الخمسة من العهد القديم (التوراة) ويؤمنون بالله رباً لا يشركون به شيئاً، ويؤمنون بوجود الملائكة وبالجن. ويعتقدون أن للكواكب تأثيراً في حياة البشر فيقدسونها حتى أن الأديب الفرنسي فولتير يقول في بعض كتاباته: «إنني أقنع برفع يدي إلى نجم الشمال، فأنا على دين الصابئة». وهم يؤمنون بمجيء المسيح في آخر الزمان ويؤمنون باليوم الآخر. ويؤمنون بأن يحيى بن زكريا (عليهما السلام) (يوحنا المعمدان) هو النبي وهو المسيح ولا يؤمنون بعيسى عليه السلام. واهتموا جداً بشريعة الغطاس وهي التعميد بالماء، وتحريم الطلاق وتحريم الزواج بثانية.

وللصابئة كتبهم الخاصة وأغلبها قد كتب باللغة المندائية وهي لهجة من اللهجات الآرامية وحروفها تتأرجح بين السريانية والنبطية والعبرية. وكلمة «مندائي» تعني صاحب المعرفة عن طريق الإلهام والحدس أي الغنوصي (Gnostic).

---

(١) حسن ظاظا: الفكر الديني اليهودي ص ٢٤١ وما بعدها.

ويحرص الصابئة على التطهر المادي بالغسل والمعنوي بالارتقاء إلى عالم الروحانيات والتطهر من دنس الشهوات. ويؤدون ثلاث صلوات في اليوم والليلة. ومركزهم حرّان وتفرقوا في العراق ولغتهم السريانية. وقد اندثروا أو كادوا اليوم.

وظهر لهم شأن عظيم في الدولة العباسية وتولى عدد منهم الوزارة الكبرى حيث تولى أبو إسحاق الصابي الوزارة للطائع والمطيع العباسيين. ومنهم إبراهيم بن هلال الصابي الحراني الكاتب الأديب المشهور الذي تولى ديوان الرسائل والمظالم!! ومنهم الطبيب والأديب الفلكي الرياضي ثابت بن قرة وابنه سنان وابن وحشيّة. وقد همَّ المأمون بإبادتهم، ولكن شفعت لهم علومهم[1].

❑ أبو الحسن ثابت بن قرة:

كان ثابت بن قرة صيرفياً بحرّان. ثم قرأ على محمد بن موسى المهندس الفلكي الرياضي المشهور، وصار من خاصة تلامذته فوصله بالمعتضد العباسي وأدخله في المنجمين.. وتعلم الطب وأقطعه المعتضد ضياعاً جليله. وكان يجلسه بين يديه، ويكون الوزير وغيره من رجال الدولة قياماً. وكان يوقره المعتضد

(١) الموسوعة الميسرة بإشراف محمد شفيق دار إحياء التراث العربي، ج ٢/ ١١٢.

كثيراً. ومن كلام ثابت: «ليس على الشيخ أضرَّ من أن يكون له طباخ حاذق وجارية حسناء لأنه يستكثر من الطعام فيسقم، ومن الجماع فيهرم».

ومن كلامه: «راحة الجسم في قلة الطعام. وراحة النفس في قلة الآثام، وراحة القلب في قلة الاهتمام، وراحة اللسان في قلة الكلام»(١). وكانت وفاته سنة ٢٨٨هـ وله من العمر ٧٧ سنة. ولثابت بن قرة كتاب مشهور هو «الذخيرة في الطب». وقد حققه الدكتور جرجس صبحي سنة ١٩٢٨ مع مقدمة باللغة الإنجليزية ونشرته المطبعة الأميرية بالقاهرة. ثم أعيد تصويره ونشره.

❑ أبو سعيد سنان بن ثابت بن قرة:

كان يلحق بأبيه في معرفته بالعلوم وتمهّره في صناعة الطب وعلم الهيئة. وكان محظياً عند الخلفاء وله المكانة الكبيرة والمنزلة الرفيعة عند المقتدر بالله والقاهر والراضي بالله من خلفاء بني العباس.

وتوفي سنان في آخر حياته مسلماً سنة ٣٣١هـ. وكان له نشاط عظيم في فتح المستشفيات والإشراف عليها وأوكل إليه المقتدر امتحان الأطباء قبل أن يسمح لهم بممارسة المهنة. وكان

---

(١) ابن أبـي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص ٢٩٨. وقد ترجم له ابن أبـي أصيبعة ترجمة وافية وذكر حوادثه وكتبه وما تم من غريب معالجاته (ص ٢٩٥ ــ ٣٠٠).

يحثُّ الأمراء والخلفاء على بناء المستشفيات وجعل الأوقاف لها فكثرت في أيامه المستشفيات، وكلها مجانية، بالإضافة إلى إيصال الخدمات الطبية إلى المساجين وإلى الريف، وذلك بمشورة وأمر الوزير علي بن عيسى الجرّاح الذي كتب إلى سنان «فكّرتُ، أمد الله في عمرك، في أمر الحبوس (أي المحبوسين)، وأنه لا يخلو مع كثرة عددهم، وجفاء أماكنهم أن تنالهم الأمراض، وهم معوقون عن التصرف في منافعهم، ولقاء من يشاورونه من الأطباء فيما يعرض لهم. فينبغي أن تفرد لهم أطباء يدخلون عليهم كل يوم، وتحمل إليهم الأدوية والأشربة. ويطوفون في سائر الحبوس (السجون) ويعالجون فيها المرضى». ثم كتب إليه مرة أخرى في شأن أهل السواد (الأرياف) حيث لا يوجد أطباء فأمره بإنفاذ الأطباء مع الأدوية يطوفون في السواد ويقيمون في كل صقع منه ما تدعو الحاجة إليه، ثم ينتقلون إلى غيره حتى وصلوا إلى أرياف سورا وأكثر أهلها يهود فكتب إليه سنان يسأله فأمره الوزير بمداواة المسلم والذمي سواء، وأن يجعل لهم مستشفى لكثرة أمراضهم. وأمره أن يتوجه خاصة إلى المناطق الوبئية والأمراض الفاشية قبل غيرها[١].

❑ ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة:

تولى الطب بعد أبيه وكان طبيباً لثلاثة من خلفاء بني

---

(١) ابن أبي أصيبعة ص ٣٠١.

العباس هم الراضي بالله والمستكفي بالله والمطيع لله بالإضافة إلى المتقي بن الخليفة المقتدر. وتولى أمر عدة بيمارستانات (مستشفيات) فأحسن إدارتها.

❑ إبراهيم بن سنان:

وهو أخو ثابت بن سنان. وكان مثله طبيباً، وكان حسن الكتابة وافر الذكاء. ومن أطباء الصابئة الذين اشتهروا **إبراهيم بن زهرون الحراني** الصابـي المتوفي سنة ٣٠٩هـ وابنه **إبراهيم** المتوفي سنة ٣٦٥هـ الذي بلغ مكانة عالية عند الأمراء ورجال الدولة وسلاطينها مثل عضد الدولة البويهي والشريف محمد بن عمر.

ومنهم **أحمد بن وصيف الصابـي الكحال** المختص بمداواة العيون وكان خبيراً بقدح العين (إزالة الساد أو الماء الأبيض المعروف بالكتاراكت).

❑ أطباء الهنادكة:

ظهر في الدولة العباسية بعض الأطباء من الهنادكة مثل **منكة الطبيب الهندوكي** الذي طلبه الرشيد ليداويه من علة أصابته ولم يفلح الأطباء في قصره في مداواته منها، فأجرى عليه هارون الرشيد رزقاً واسعاً.

ومنهم **صالح بن بهلة الهندي الذي أسلم**، وكان من كبار

أطباءِ هارون الرشيد وخاصة بعد أن داوى إبراهيم بن صالح العباسي (ابن عم الرشيد) من مرض شديد أصابه حتى ظنوه مات فكفّنوه، وأنكر صالح موته فداواه حتى أفاق من غشيته ثم داواه حتى برء من مرضه.

• • •

بقية أطباء بغداد والعراق
المشهورين من أهل الذمة

ومن أطباء بغداد المشهورين **متّى بن يونان، أبو بشر** (وفاته سنة ٣٢٨هـ). وكان بارعاً في المنطق وإليه انتهت رئاسة المناطقة في عصره.. ومنهم أبو يحيى المروزي السرياني أستاذ متّى بن يونان.

ومنهم **إبراهيم القويري (أبو إسحاق) النصراني**. وهو من أساتذة متّى بن يونان. ومن الأطباء المشهورين ببغداد **سعيد بن يعقوب الدمشقي (أبو عثمان) النصراني** وكان منقطعاً للوزير علي بن عيسى وكان مسؤولاً ورئيساً للبيمارستان (المستشفى) الذي أنشأه الوزير في محلة الحربية في بغداد سنة ٣٠٢هـ.

ومنهم **يحيى بن حميد المنطقي النصراني اليعقوبي** تلميذ متّى بن يونان. ومنهم **عيسى بن إسحاق بن زرعة بن مرقس (أبو علي)** وكان فصيحاً حاد الخاطر ملازماً للتدريس وكانت وفاته سنة ٤٤٨هـ.

ومنهم الطبيب المشهور علي بن العباس المجوسي صاحب الكتاب الضخم «الملكي» الذي ألفه لعضد الدولة البويهي. وكان كتابه المرجع في الطب إلى أن ظهر القانون لابن سينا. ثم أسلم علي بن العباس وحسن إسلامه.

وقد يستغرب القارىء حين يجد أسماء إسلامية مثل علي وعبد الله وعبيد الله والعباس والحسن وعمر وعثمان لمجموعة من النصارى أو اليهود أو السريان أو الصابئة، ولكن ذلك قد حدث بسبب اندماج هؤلاء في المجتمع الإسلامي، وليبدو منسجمين مع المجتمع، وخاصة أن كثيراً منهم تولوا الوزارات والمناصب الباذخة الرفيعة في الدولة، فلم يكن يليق بهم أن يتسموا بأسماء منكرة، وإن بقوا على دينهم. . وكان لباسهم كذلك مثل لباس المسلمين حتى ولو كانوا من رجال الدين المسيحي.

ومن أطباء العراق دانيال المتطبب، وكان طبيباً خاصاً لمعز الدولة البويهي، ومنهم إسحاق بن شليطا اليهودي الذي كان أحد أطباء المطيع لله الخليفة العباسي ومنهم أبو النصر فنوّن المتطبب الذي كان طبيباً خاصاً للوزير وقائد القوات المسلحة بختيار.

ومنهم أبو الحسين بن كشلرايا الذي عمل في خدمة سيف الدولة بن حمدان صاحب حلب (والذي كان شاعره المتنبي). واستعمله عضد الدولة البويهي وجعله رئيساً للبيمارستان العضدي ببغداد.

وقد تتلمذ أبو الحسين على سنان بن ثابت بن قرة الصابي. . **ولأبي الحسين أخ راهب اشتهر بصاحب الحقنة لأنه** صنع حقنة (شرجية) تنفع من الأمراض الحادة.

ومن أطباء عضد الدولة البهويهي أبو يعقوب الأهوازي السرياني ونظيف القس الرومي وكان خبيراً **باللغات وينقل من** اليوناني إلى العربي.

وكان **أبو الفرج عبد الله بن الطيب** من كبار رجال الدين المسيحي في بغداد ويدرّس الطب في البيمارستان العضدي. وكان معاصراً للشيخ الرئيس ابن سينا الذي قال عنه: «كان يقع إلينا كتب يعملها الشيخ أبو الفرج ابن الطيب في الطب، فنجدها صحيحة مرضية. خلاف تصانيفه التي في المنطق والطبيعيات وما يجري مجراها».

ومن أشهر الأطباء الأدباء ابن بطلان: **أبو الحسن المختار بن بوانيس بن الحسن بن عبدون بن بطلان، نصراني من أهل بغداد**، من جملة تلاميذ أبي الفرج عبد الله بن الطيب.

وكانت بين ابن بطلان النصراني البغدادي وابن رضوان المصري المسلم مكاتبات ومناقرات، وكلٌ منهما يسفّه رأي الآخر ويعيبه نثراً وشعراً.

وقد وقع وباء الطاعون سنة ٤٤٦هـ في القسطنطينية ومات

فيه عشرات الآلاف، ثم انتقل الوباء إلى الشام ومصر والعراق فأتى على أكثر أهل تلك البلاد. ولم يُصب ابن بطلان في ذلك الوباء، وكتب فيه الكتب.. وكان كثير التردد على القسطنطينية، ويقيم في أحد الأديرة فيها وخاصة دير الملك قسطنطين.

ومن أطباء البيمارستان العضدي **إبراهيم بن بكس النصراني** ونقل كتباً كثيرة في الطب وغيره من اليونانية إلى العربية.

ومن أطباء بغداد **قسطا بن لوقا البعلبكي** الطبيب، الفيلسوف، المنجّم، المهندس، عاش أيام المقتدر بالله العباسي ونقل كتباً كثيرة من اليونانية إلى العربية.

ومن أطباء العراق **ابن قوسين اليهودي** ثم أسلم وحسن إسلامه وله مقاله في الرد على اليهود.

ومن أطباء بغداد المشهورين **الوزير أبو الفرج يعقوب بن كلّس**. كان يهودياً من أهل بغداد، ثم أسلم، وتسنَّم أعلى المناصب في الدولة الفاطمية وكان الوزير الأول والصدر الأعظم في الدولة الفاطمية ووزيراً للعزيز بالله الفاطمي.

ومن أطباء العراق **أبو سعيد منصور بن عيسى النصراني** النسطوري وكان أخوه **مطران ميافارقين**. وخدم نصير الدولة بن مروان وداوى ابنته فبرئت فأشار عليه أن يبني مستشفى في ميافارقين، فأنفق عليه نصير الدولة أموالاً كثيرة، وأوكل إدارته إلى منصور بن عيسى النصراني.

ومن المشهورين بالطب من العراق إسحاق بن علي الرهاوي وأشهر كتبه أدب الطبيب.

ومنهم سعيد بن هبة الله بن الحسين الذي كان طبيباً للمستظهر العباسي وتلميذه أبو البركات هبة الله بن علي ملكا اليهودي صاحب كتاب «خلق الإنسان».

ومنهم أبو غالب بن صفية النصراني الذي كان طبيباً للخليفة المستنجد بالله العباسي.

ومن أشهر أطباء العراق أمين الدولة ابن التلميذ النصراني واسمه ولقبه: أبو الحسن هبة الله بن أبي العلاء صاعد بن إبراهيم بن التلميذ. قال عنه ابن أبي أصيبعة في طبقات الأطباء: «أوحد زمانه في الطب وفي مباشرة عملها». وكان رئيس الأطباء (ساعور) في البيمارستان العضدي. ولم يكن ينافسه إلا ابن أبي البركات اليهودي.

وكان أبو العلاء والد أمين الدولة طبيباً فاضلاً مشهوراً، ومنه تعلم الطب. واشتغل ابن التلميذ بالطب في خدمة المستضيء بالله الخليفة العباسي.

وكان أمين الدولة لا يقبل عطية إلا من خليفة أو سلطان حتى أنه رفض أن يأخذ مالاً من أحد ملوك النواحي النائية لمّا داواه من علة أصابته.

وفوض إليه الخليفة رياسة الطب في بغداد وامتحان جميع

الأطباء فيها. وكان ابن التلميذ أديباً شاعراً وكان في مجلس طبه اثنان من النحاة ليقوّما ألسنة تلاميذه في الطب.

وكانت وفاة أمين الدولة ببغداد سنة ٥٦٠هـ وله من العمر ٩٤ سنة، ومات نصرانياً، وخلَّف أموالاً كثيرة وضياعاً وقصوراً وجواهر. وقد مدحه الشعراء ومنهم السيد نقيب السادة الأشراف النقيب الكامل، ذكرها (أي القصيدة) ابن أبي أصيبعة، وكذلك مدحه الشريف أبو يعلى محمد بن الهبارية العباسي، والشاعر أبو إسماعيل الطغرائي... إلخ.

وهو يوضح ما نبَّه إليه الفقهاء، مراراً من عدم تقديم النصارى واليهود وإلا فستكون لهم المكانة العظمى في الدولة. حتى أن بني هاشم يتسابقون إلى مدح هذا النصراني!! وهي مهانة لا يقبلها دين الإسلام. ولكن هذا هو واقع المسلمين بسبب تساهلهم إلى درجة الغباء وتسامحهم إلى درجة الإفراط والتفريط قد أدى بهم إلى هذه الدرجة.

وأما النصارى واليهود متى كانت لهم الشوكة فإنهم يذبحون المسلمين ويذلّونهم ولا يسمحون لأحد منهم قط أن يعتلي مناصب الدولة حتى يومنا هذا.

❑ أبو البركات هبة الله بن علي ملكا:

كان يهودياً ثم أسلم. وكان في خدمة المستنجد بالله ثم المستضيء بالله العباسي. تعلم الطب على يد أبي الحسن

سعيد بن هبة الله (النصراني) الذي كان يمنع اليهود من حضور مجلسه فلما رأى شدة حرصه على تعلم الطب سمح له بذلك وقال: «من يكون بهذه المثابة ما نستحلّ أن نمنعه من العلم». وصار من أجلّ تلاميذه.

وذكر ابن أبـي أصيبعة أن سبب إسلامه إنما كان بسبب عدم قيام قاضي القضاة له. وكان أبو البركات إذا دخل على الخليفة قام جميع من في المجلس إلا الخليفة وقاضي القضاة فاستاء من ذلك وأعلن إسلامه ليقوم له قاضي القضاة!!

❑ أبو نصر سعيد بن أبـي الخير بن عيسى:

صار من المقرّبين للخليفة الناصر لدين الله عندما مرض الخليفة ونصحه طبيبه أبو الخير المسيحي بأن تشقّ مثانته، وكان طبيبه يومئذ شيخاً كبيراً فأتوا للخليفة بجراح يدعى ابن عكاشة. فلما أن أراد أن يشق المثانة لإخراج الحصاة خاف الخليفة من تلك العملية وسأل ابن عكاشة عمن يعرف من ثقاة الأطباء فأشار عليه بأبـي النصر سعيد بن أبـي الخير فداواه من غير بطٍّ (شق).. وألقى الخليفة حصاه مثل الزيتونة[1] فأعطاه في يومه ذاك عشرون ألف دينار مع الثياب والخلع السنيّة. وصار من المقربين لديه.

---

(١) لا يمكن أن تخرج حصاة مثل الزيتونة من مجرى البول بدون عملية أو تفتيت، ولكن ذلك يرجع إلى مبالغة الإخباريين.

❑ أبو الفرج صاعد بن هبة الله بن توما النصراني:

كان طبيب نجم الدولة نجاح الشرابي ثم صار وزيره وكاتبه ثم دخل إلى الخليفة الناصر العباسي وصار من أطبائه، ثم حظي لديه حظوة تامة حتى صار من كبار رجال الدولة والمتصرف في عدة دواوين (وزارات). وتكبّر على الجند فغضبوا عليه لغلظته فاغتالوه سنة ٦٢٠هـ. وكان ما تركه بعد وفاته ٨١٣,٠٠٠ دينار ذهباً وأملاكاً وعقارات وضياع وبساتين كثيرة جداً.

❑ أبو الحسين صاعد بن هبة الله بن المؤمل النصراني:

كان طبيباً ماهراً وكان اسمه ماري فغير اسمه لصاعد وتكنّى بأبي الحسين. وخدم في دار الخلافة بالطب وكسب الأموال الكثيرة. ودرس الفلسفة والمنطق والأدب. وكان مصاباً بالكبر والعجب والتيه بما بلغ. وكانت وفاته ببغداد سنة ٥٩١هـ.

❑ ربن الطبري اليهودي:

كان طبيباً منجماً من أهل طبرستان عالماً بالهندسة وسكن سامرا بالعراق. والربن والربيّن والرابي بمعنى واحد وهو حبر اليهود.

❑ أبو الحسن علي بن سهل بن ربن الطبري:

من الأطباء المشاهير حتى صار طبيباً للمعتصم العباسي ثم صار نديماً لابن المتوكل وهو أحد أساتذة أبي بكر الرازي.

وكان يهودياً[1] فأسلم على يد المعتصم العباسي وعظمت منزلته عنده حتى صار من أقرب المقربين لديه.

❏ أبو الخير الحسن بن سوار النصراني المعروف بابن الخمّار:

كان عالماً بأصول صناعة الطب وفروعها فارسي الأصل، نصراني الدين توطن بغداد وقرأ الحكمة على يدي يحيى بن عدي. ونقل كتباً عدة من السريانية إلى العربية، وكان إذا دعاه السلطان ركب إليه في زي الملوك والعظماء وبين يديه ثلاثمائة غلام تركي بالخيول الجياد والهيئة البهيّة!!

❏ أبو سهل عيسى بن يحيى المسيحي الجرجاني:

من أهل جرجان (في شمال إيران حالياً) طبيب بارع، فصيح العبارة، متقن للعربية، حسن الخط، توطن العراق وبغداد، وله كتاب إظهار حكمة الله تعالى في خلق الإنسان وكتاب المائة في الطب وغيرها من الكتب.

• • •

(١) قيل كان نصرانياً وهو الأظهر، ولقّب أبوه بالربن لكثرة عبادته وتنسّكه، وله كتاب مشهور في الطب هو «فردوس الحكمة» طبع سنة ١٩٢٨ بتحقيق الأنصاري الهندي.

من أطباء المغرب والأندلس

❑ السموأل بن يحيـى بن عباس المغربـي:

من يهود المغرب ثم انتقل إلى بلاد العجم (إيران) وأقام مدة بديار بكر (تركيا حالياً) ثم أذربيجان وخدم بيت البهلوان حكام مراغة (في أذربيجان السوفيتية السابقة) وارتحل إلى الموصل وأعلن إسلامه هناك. وردّ على اليهود وصنَّف كتاباً في تفنيذ أباطيلهم وتحريفهم للتوراة. وله كتب في الطب منها المفيد الأوسط صنفه سنة ٥٦٤ للوزير مؤيد الدين الحسين بن محمد. وله تصانيف في الهندسة والجبر والمقابلة والحساب والمياه والجواهر.

❑ إسحاق بن سليمان الإسرائيلي (أبو يعقوب):

يهـودي ولـد بمصـر ثـم سكـن القيروان (تـونـس) ولازم إسحـاق بـن عمـران وتتلمـذ لـه. وصـار طبيبـاً لأول الخلفـاء الفاطميين عبيد الله المهدي.. وكان حاذقاً بالطب بصيراً بالمنطق وعلوم الحكمة وعُمِّرَ حتى بلغ مائة سنة ولم تكن له زوجة ولا ولد.

❑ جواد الطبيب النصراني الراهب:

ظهر بالأندلس في أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط وكانت له عقاقير ركّبها بنفسه، وله دواء ينسب إليه من السفوفات واللعوق.

❑ خالد بن يزيد بن رومان النصراني القرطبي:

من أهل قرطبة، وكان بارعاً في الطب وكسب بالطب أموالاً كثيرة وضياعاً واسعة.

❑ ابن ملوكة النصراني:

كان طبيباً ماهراً في دولة الأمير عبيد الله ثم في دولة الأمير عبد الرحمن الثالث الملقب بالناصر في أيام ازدهار دولة الأمويين بالأندلس.. وكان خبيراً بالعقاقير، يصنعها بيده.

❑ يحيى بن إسحاق القرطبي النصراني:

كان والده طبيباً وتعلم الطب منه ومهر فيه حتى صار طبيباً لعبد الرحمن الثالث الملقب بالناصر. وازدادت مكانته لديه عندما أسلم فولاه قيادة إقليم بطليوس (داوس)، ثم صار والياً لعدة ولايات ثم تولى الوزارة الكبرى.

❑ حسداي بن بشروط الإسرائيلي:

ظهر أيضاً في زمن عبد الرحمن الناصر (الثالث) الأموي واشتهر باستخراج العقاقير من كتب ديسقوريدس في النباتات.

❑ نقولا الراهب:

أرسله امبراطور القسطنطينية أرمانيوس لعبد الرحمن الناصر (الثالث) ليترجم له كتاب ديسقوريدس من اليونانية إلى العربية. وهو أول من عمل ترياق الفاروق على تصحيح علماء النبات الموجودين في قرطبة آنذاك مثل محمد الشجّار وأبو عثمان الجزار وأبو عبد الله الصقلي (نسبة إلى جزيرة صقلية التي تتبع إيطاليا اليوم وقد كانت تحت الحكم الإسلامي زمناً طويلاً).

❑ حسداي بن يوسف بن حسداي اليهودي:

من مدينة سرقسطة بالأندلس وبرع في علوم عدة منها الطب والهندسة والنجوم والموسيقى ونال حظاً جزيلاً من صناعة الشعر والبلاغة.

❑ يوسف بن أحمد بن حسداي (أبو جعفر) الإسرائيلي:

سافر من الأندلس إلى مصر في أيام الآمر بأحكام الله الفاطمي وكان طبيباً للوزير محمد بن نور الدولة المعروف بالمأمون (طبعاً غير الخليفة العباسي المأمون). وله كتاب الشرح المأموني لكتاب الإيمان لأبقراط. وكتاب الإجمال في المنطق وغيرها من الكتب.

❑ أبو إسحاق بن طلموس:

نصراني من جزيرة شقر من أعمال بلنسية بالأندلس. وكان من جملة أطباء عبد الرحمن الناصر (الثالث) الأموي بالأندلس.

❑ ابن بكلارش اليهودي:

من أكابر علماء الطب بالأندلس وخدم بصناعة الطب الأمراء بني هود وحظي لديهم وألف كتاب المجدولة في الأدوية المفردة للمستعين بالله أبـي جعفر أحمد بن المؤتمن بالله بن هود.

● ● ●

أطباء مصر والشام من أهل الذمة
في العصر العباسي والفاطمي والأيوبي

❑ بليطيان الإسكندراني النصراني:

كان طبيباً مشهوراً بمصر وكان من رجال الكنيسة المعدودين وولاه المنصور العباسي بطريركية الإسكندرية.

ولما اعتلّت جارية الرشيد المصرية وعجز أطباء العراق عن مداواتها بعث إلى عامله بمصر أن يرسل له طبيباً مصرياً أدرى بعلتها، فبعث إليه بليطيان الذي حمل معه الكعك والسمك المملح المعروف آنذاك بالصير (ويعرف في العصر الحاضر بالفسيخ) فلما أطعمها منه استردت صحتها، فسرَّ الرشيد ووهب له مالاً كثيراً وجعل الكنائس اليعوقبية (وهي نحلة معادية للعقيدة الملكانية التي يدين بها بليطيان) تحت قيادة بليطيان.. وكانت وفاته سنة ١٨٦هـ.

❑ إبراهيم بن عيسى:

صحب يوحنا بن ماسوية وتعلم الطب منه. ثم ذهب إلى مصر وصار طبيباً خاصاً لأحمد بن طولون مؤسس الدولة الطولونية في مصر والشام. وكانت وفاته بالفسطاط سنة ٢٦٠هـ.

❑ سعيد بن توفيل النصراني:

كان من جملة أطباء أحمد بن طولون ثم غضب عليه وضربه فمات من أثر الضرب سنة ٢٦٩هـ.

❑ نسطاس بن جريج النصراني:

ظهر في دولة الإخشيد بن طغج بمصر وكان من جملة أطبائه.

❑ إسحاق بن إبراهيم بن نسطاس (أبو يعقوب) النصراني:

كان من أطباء الحاكم بأمر الله الفاطمي. وكان من الأطباء المشهورين ومات في زمن الحاكم بأمر الله.

❑ موسى بن العازار الإسرائيلي وأبناؤه إسحاق وإسماعيل:

كان متقدماً في صناعة الطب. وكان في خدمة المعز لدين الله الفاطمي الذي بنى القاهرة. وأدخل موسى بن العازار

ابنه إسحاق في خدمة الخليفة حتى حظي لديه وصار كبير الأطباء لديه فلما توفي إسحاق حزن المعز لموته حزناً شديداً، وجعل موضعه أخاه إسماعيل وابنه يعقوب بن إسحاق.

❏ يوسف البطريق النصراني:

كان طبيباً حاذقاً ومن رجال الكنيسة المعدودين حتى أن العزيز الفاطمي جعله بطريركاً (بطريقاً) على بيت المقدس.

❏ سعيد بن البطريق:

من أهل الفسطاط في مصر وكان طبيباً ماهراً مع دراية بعلوم النصرانية وقد جعله الخليفة العباسي القاهر بالله بطريقاً على الإسكندرية سنة ٣٢١هـ وكانت وفاته سنة ٣٢٨هـ. وكان له أخ يدعى عيسى بن البطريق عمل بالطب واشتهر في جزئيات المداواة والعلاج بمصر القديمة.

❏ الحقير النافع اليهودي:

كان طبيباً جراحاً ماهراً في زمن الحاكم بأمر الله الفاطمي، فلما أصيب الحاكم بجرح في رجله وأزمن لم يستطع الأطباء مداواته فاستدعوا له هذا اليهودي فداواه فبرأ فسماه الحاكم: الحقير النافع لأنه كان حقير المظهر، وأعطاه ألف دينار، وجعله من خاصة أطبائه.

❏ أبو كثير أفرائيم بن الزفّان الإسرائيلي:

قرأ الطب على علي بن رضوان الطبيب المشهور في مصر. وتقدم في الطب حتى صار طبيباً لعدد من الخلفاء الفاطميين.. وكان محباً للكتب، وله مكتبة حافلة، وله عدد من النساخ ينسخون له الكتب الطبية وغيرها. ولما مات ترك ٢٠,٠٠٠ مجلد في مكتبته، وأموالاً وفيرة، وضياعاً، وعقاراً، ومجوهرات كثيرة.

❏ سلامة بن رحمون الإسرائيلي:

تعلم الطب على يد أفرائيم بن الزفان المتقدم ذكره، ودرس المنطق والعلوم الحكمية على يد الأمير أبو الوفاء المبشّر بن فاتك. وله عدة كتب منها كتاب نظام الموجودات، ومقالة في السبب الموجب لقلة المطر بمصر، ومقالة في خصب أبدان النساء بمصر عند تناهي الشباب.

وله ولد يدعى مبارك تعلم الطب على يد والده واشتهر بالطب، وله كذلك بعض المصنفات الطبية.

❏ أبو العشائر هبة الله بن زين بن حسن بن جميع الإسرائيلي:

من الأطباء اليهود المشهورين بمصر. قرأ الطب على الشيخ عدنان بن العين زربي.

وكان أبو العشائر من جملة أطباء صلاح الدين الأيوبي وحظي لديه. وكان رفيع المنزلة عنده عالي القدر نافذ الأمر. وكان لابن جميع مجلس عام للذين يشتغلون بالطب عليه. (أي كان يدرّس الطب). وكان مهتماً بالأدب واللغة. ولابن جميع كتاب الإرشاد لمصالح الأنفس والأجساد وكتب أخرى في الطب.

❑ أبو البيان بن المدوّر الملقّب بالسديد:

من أطباء اليهود الذين خدموا صلاح الدين الأيوبي وكان يكرمه إكراماً بالغاً.

❑ الموفق بن شوعة اليهودي:

اشتهر بالكحل (طب العيون) وكان من جملة أطباء صلاح الدين. وكان النجم الخوبشاني العالم الصوفي يكره اليهود خاصة، فلما رأى ابن شوعة في مركبٍ فارهٍ جداً رماه بحجر فأصاب عينه فقلعها!!

❑ الرئيس موسى بن ميمون (أبو عمران):

أشهر أطباء اليهود المعروف في الغرب باسم ميمونيد وهو أحد أعظم أحبارهم حتى قالوا ما بين موسى وموسى لم يوجد أعظم من موسى.. من أهل قرطبة وبها تعلم الطب ثم رحل إلى المغرب واستقر به المقام في مصر وصار من أعظم أطباء صلاح الدين وأقربهم لديه.

وقد مدح الشعراء موسى بن ميمون وكانت له الحظوة والمكانة المرموقة في الدولة الأيوبية. وهذا من غفالة صلاح الدين وسذاجته رغم صلاحه وتقواه وشجاعته حيث كان إثنا عشر من أطبائه من اليهود والنصارى.

❑ أبو المعالي بن تمام بن هبة الله اليهودي:

من أطباء صلاح الدين الأيوبي وحظي في أيامه ثم في أيام أخيه الملك العادل أبي بكر بن أيوب.

❑ إبراهيم بن موسى بن ميمون:

تعلم الطب على يد أبيه موسى بن ميمون. وصار طبيباً للملك الكامل محمد بن أبي بكر الأيوبي وتولى رئاسة الطب في مستشفى القاهرة.

❑ أبو الفضائل بن الناقد الملقب بالمهذّب:

كان يهودياً مشهوراً بطب العيون توفي بالقاهرة سنة ٥٨٤هـ. وأسلم ولده أبو الفرج وكان طبيباً كحالاً مثل والده.

❑ أبو البركات الموفق بن شعيا:

من أحبار اليهود. وكان مشهوراً بصناعة الطب، وخلّف ولداً يقال له أبو الفخر سعيد الدولة، اشتغل كذلك بالطب في القاهرة.

❑ أسعد الدين يعقوب بن إسحاق المحلي:

يهودي من المحلة الكبرى بمصر.. اشتغل بالطب وأقام بالقاهرة ودمشق ثم عاد إلى القاهرة وبها كانت وفاته في القرن السابع الهجري.

❑ سديد الدين أبو الفضل داود بن أبـي البيان سليمان الإسرائيلي:

اشتهر باسم الشيخ السديد ابن أبـي البيان. من علماء وأحبار اليهود مولده بالقاهرة سنة ٥٥٦هـ. وكان من أقدر أهل زمانه على تركيب الأدوية. وكان من أطباء الملك العادل أبـي بكر بن أيوب.

❑ أبو سليمان داود بن أبـي المنى وأولاده:

كان طبيباً نصرانياً في آخر زمن الدولة الفاطمية، وحظي عندهم. وله معرفة جيدة بالطب والنجوم، ثم صار من جملة أطباء صلاح الدين. وكان قد بشرَّ صلاح الدين بفتح القدس، وطلب من صلاح الدين أن يعتني بأولاده فاعتنى بهم وجعلهم في رعاية الملك العادل، وكانت لهم المكانة الرفيعة في الدولة الأيوبية. وقد خدم ابنه أبو سعيد بن أبـي سليمان الملك الناصر صلاح الدين بالطب ثم خدم الملك العادل. وكذلك فعل أبو شاكر بن أبـي سليمان بن أبـي المنى وأبو النصر وأبو الفضل

وكلهم أبناء أبـي سليمان بن أبـي المنى. وكانت لهم المكانة العالية في الدولة الأيوبية ويعاملون معاملة الأمراء من بني أيوب!!

❑ أبو الفرج النصراني:

كان من جملة أطباء صلاح الدين الأيوبـي ثم صار طبيباً للملك الأفضل علي بن صلاح الدين وأقام عنده بسميساط (مدينة في الأناضول في تركيا اليوم). واشتغل أولاد أبـي الفرج بالطب وأقاموا في خدمة الأفضل وأبنائه.

❑ أبو منصور النصراني:

كان طبيباً مشهوراً في دمشق. ثم التحق بخدمة صلاح الدين الأيوبـي وصار من جملة أطبائه، وبقي في خدمته سنين.

❑ أبو النجم بن أبـي غالب النصراني:

كان أبوه فلاحاً من حوران فأخذه منه بعض الأطباء في دمشق لما آنس منه ذكاء فتعلَّم منه الطب وبرع فيه حتى صار من جملة أطباء صلاح الدين. وحظي عنده وكان يتردد إلى دوره ويعالج أهله وجواريه.

وقد ولد له ابن اشتهر بالطب ثم تولى المناصب الباذخة في الدولة وهو **أمين الدولة أبو الفتح بن أبـي النجم**.

□ **الحكيم إبراهيم السامري المعروف بشمس الحكماء :**

كان من السامرة وهم فرقة من اليهود الذين يؤمنون بالأسفار الخمسة من التوراة فقط ويعتبرهم اليهود مارقين من الملة. اشتهر في دمشق وكانت له المكانة الرفيعة حتى صار من أطباء صلاح الدين ومن المقربين لديه.

□ **رشيد الدين بن أبي حليقة بن أبي الخير النصراني :**

من أحفاد أبي سليمان داود بن أبي المنى الذي حظي في الدولة الأيوبية. وكان أبوه أبو الخير فارساً على خلاف إخوته الأطباء. وأراد أبوه أن يعلمه الجندية فلما رآه الملك العادل أشار على والده بتعليمه الطب مثل أعمامه فتعلم الطب وبرع فيه، وصار طبيباً للملك الكامل محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب. ثم خدم ابنه الملك الصالح نجم الدين أيوب، وخدم بعده طوران شاه بن الملك الصالح. ولما قتل طوران شاه سنة ٦٤٨ تحوَّل إلى خدمة المماليك وصار طبيباً خاصاً للسلطان الظاهر بيبرس البندقداري.. وكانت له المكانة العظيمة عند هؤلاء السلاطين جميعاً من بني أيوب ومن المماليك.. ولأبي حليقة شعر رائق ذكر كثيراً من أمثلته ابن أبي أصيبعة[1]. وله كتب عدة في الطب وغيره.

---

(١) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص ٥٩٦ و ٥٩٧.

❑ **مهذب الدين أبو سعيد محمد بن أبـي حليقة النصراني :**

وهو ابن أبـي حليقة المتقدم ذكره. درس الطب على أبيه وصار طبيباً للسلطان الظاهر بيبرس وكانت له لديه المكانة العالية.

ولمهذب الدين أخوان كلاهما طبيب هما: موفق الدين أبو الخير وكان كحّالاً (طبيب للعيون) وكان الثاني طبائعياً (Physian) وهو علم الدين أبو النصر.

❑ **رشيد الدين أبو سعيد بن موفق الدين يعقوب :**

من نصارى القدس وتميز بالطبِّ والعربية. والتحق بخدمة الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبـي بكر بن أيوب سنة ٦٣٢هـ بالقاهرة. وله كتاب في طب العيون وتعاليق على كتاب الحاوي لأبـي بكر الرازي.

❑ **عيسى الرقّي :**

كان طبيباً نصرانياً مشهوراً وكان من جملة أطباء سيف الدولة الحمداني وكان ينقل من السريانية إلى العربية كتباً كثيرة.

❑ **أبو الفرج جورجس بن يوحنا اليبرودي النصراني اليعقوبـي :**

من النصارى اليعاقبة وكان عالماً بصناعة الطب وعملها.

وكان مغرماً بالكتب وجمع منها الكثير. وله مراسلات مع ابن رضوان الطبيب المصري المشهور.

❑ سكرة الحلبـي اليهودي:

من يهود حلب اشتهر بالطب بعد أن عالج جارية للملك العادل نور الدين زنكي، فحظي لديه وجمع ثروة طائلة. وكان ابنه عفيف بن سكره أيضاً طبيباً وصار من جملة أطباء صلاح الدين الأيوبـي وألف له رسالة في القولنج[١] سنة ٥٨٤هـ.

❑ موفق الدين أبو نصر أسعد بن إلياس بن جرجس المطران:

كان من أعلم أهل زمانه بالطب والعلوم الحكمية، وقرأ النحو والأدب على أبـي اليُمن زيد بن الحسن الكندي. ولد بدمشق وتعلم الطب ثم الديانة النصرانية، وذهب إلى بلاد الروم للتوسع فيها، واجتمع بأمين الدولة ابن التلميذ في العراق وتتلمذ عليه. واشتغل بالطب.. وظهر وارتفع صيته حينما اختاره صلاح الدين الأيوبـي ليكون من جملة أطبائه.

---

(١) القولنج: هو مرض يصيب الأمعاء الغليظة المعروفة باسم القولون. وكان القدماء يطلقونه على أي مرض يصيب هذه الأمعاء سواء كان التهاباً أم ورماً أو نتيجة تشنجات وهو ما نعرفه اليوم باسم القولون العصبـي.

وكان ابن المطران يساعد الأطباء النصارى لكي يصلوا إلى الأمراء فتكون لهم الحظوة والمكانة. وكانت له همة عالية في جمع الكتب وكان له ثلاثة نساخ يكتبون له أبداً ولهم الجراية، ونسخ هو بخطٍّ يده (وكان جميل الخط) كتباً كثيرة.

ولابن المطران أخوان طبيبان أيضاً اشتهر منهما هبة الله بن إلياس ولم يبلغ مكانته. ولابن المطران أسعد بن إلياس كتباً كثيرة صنَّفها لصلاح الدين الأيوبـي مثل المقالة الناصرية في حفظ الصحة. وبستان الأطباء وروضة الألباء.

❑ أبو الحجاج يوسف الإسرائيلي:

يهودي مغربـي من مدينة فاس، سافر إلى الديار المصرية وتتلمذ على موسى بن ميمون القرطبـي ودرس الطب والهندسة وعلم النجوم، ثم رحل إلى الشام وأقام بحلب وصار طبيباً خاصاً للملك غازي بن الناصر صلاح الدين الأيوبـي. وكان أيضاً طبيباً للأمير فارس الدين القصري، واشتهر في حلب وبقى فيها إلى أن وافته المنية بعد أن جمع ثروة طائلة.

❑ أوحد الدين عمران بن صدقة الإسرائيلي:

ولد في دمشق سنة ٥٦١هـ وتعلم الطب على يد والده، وعلى يد الشيخ رضى الدين الرحبـي.. وصار طبيباً للملوك من بني أيوب ونال من جهتهم الأموال الجسيمة.. وعرض عليه

الملك العادل أبو بكر بن أيوب أن يستخدمه فأبـى. . . ولكنه كان يذهب لمداواتهم حين يمرضون فقد داوى الملك الناصر داود بن الملك المعظم في دمشق فخلع عليه ووهبه الأموال الكثيرة، وعرض عليه أن يبقى في خدمته فأبى. . وكانت وفاته سنة ٦٣٧هـ بمدينة حمص.

❏ موفق الدين يعقوب بن سقلاب النصراني:

نصراني من أهل القدس تعلم الطب على يد أبـي منصور النصراني المتطبب. وقد نصحه ابن المطران أن يلبس لباس المسلمين ففعل وقدَّمه ابن المطران إلى أحد الأمراء حين مرض وجعله طبيبه. . واشتهر ابن سقلاب، وكان الملك المعظم يقول: لو لم يكن في الحكيم يعقوب إلاَّ شدة استقصائه في تحقيق الأمراض حتي يعالجها على الصواب، ولا يشتبه عليه شيء من أمرها لكفاه.

وكان ابن سقلاب متقناً للسّان الرومي (اللاتيني) ونقل بعض كتب جالينوس باللاتينية إلى العربية (معظم كتب جالينوس كانت على أصلها اليوناني).

وصار ابن سقلاب طبيباً للملك المعظم عيسى بن أبـي بكر بن أيوب وبقي في خدمته حتى مات الملك المعظم سنة ٦٢٤هـ بدمشق. ولما تولى ابنه الملك الناصر داود دخل عليه الحكيم يعقوب، وهو شيخ كبير، فأكرم وفادته إكراماً بالغاً.

وليعقوب بن سقلاب ولد ظهر بالطب هو سديد الدين أبو منصور بن يعقوب بن سقلاب. وقد تعلم الطب على يد والده. وتعلم العلوم الحكمية على يد شمس الدين الخسرو شاهي. وصار أبو منصور طبيباً للملك الناصر داود بن عيسى الأيوبي وكانت له الحظوة والمكانة العالية لديه.

❏ صدقة بن منجا الساري (اليهودي):

كان من الأطباء المشهورين وخدم بالطب الملك الأشرف بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب وبقي في خدمته إلى أن وافته المنيّة. وخلّف أموالاً كثيرة وضياعاً وعقاراً ولم يكن له ولد. وله كتاب شرح التوراة، وكتاب النفس، وتعاليق في الطب، وشرح كتاب الفصول لأبقراط، وأجوبة ومسائل طبية، ومقالة في أسامي الأدوية المفردة.

❏ موفق الدين أبو يوسف يعقوب بن غنائم السامري اليهودي الدمشقي:

اشتهر بالطب والعلوم الحكمية وله كتاب شرح الكليات من كتاب القانون لابن سينا وكتاب المدخل إلى علم المنطق والطبيعي والإلهي. وكانت وفاته سنة ٦٨١هـ.

❑ أمين الدولة الصاحب أبو الحسن بن غزال بن سعيد:

كان سامريا (فرقة من اليهود) ثم أسلم واشتهر بالطب والحكمة، وكان طبيباً للملك الأمجد بهرام شاه الأيوبـي، وكانت له الحظوة الكاملة وصار من رجال دولته حتى صار وزيراً يدير له مملكته ويتصرف فيها كيف يشاء. ولما توفي الأمجد سنة ٦٢٨هـ وتولى الملك الصالح عماد الدين إسماعيل بن الملك العادل أبـي بكر بن أيوب تسنّم المكانة العالية وأبقاه وزيراً له.

وكان أمين الدولة يجمع الأموال ويستولي على أملاك دمشق ويرتشي حتى ضجّ منه العامة والخاصة فقبض عليه الملك الصالح وصادر أملاكه وسجنه.

❑ أبو الفرج بن القفّ (أمين الدولة):

من نصارى الكرك بالأردن ولد بها سنة ٦٣٠هـ وكان والده صديقاً لابن أبـي أصيبعة جيّد الحفظ للشعر والتواريخ وله خط جميل. وكان كاتباً في صرخد أيام الملك الناصر صلاح الدين الأيوبـي.

وتعلم أبو الفرج الطب على يد ابن أبـي أصيبعة وغيره حتى برع فيه وصار من الأطباء المتميزين وخاصة في علم الجراحة. وخدم أمير عجلون بالطب ثم عاد إلى دمشق وظهر بها صيته. وكانت وفاته سنة ٦٨٥هـ.

الفهـــرس

● ● ●